الزيارة الجامعة الكبيرة

البطاقة المعرفيّة لآل محمد عليهم السلام

الجزء الأول

محمد السمناوي

2021 بيروت

ثواب زيارتهم (عليهم السلام)

عن الوشا قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول:" **إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإنَّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة**".

ينظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج2، 24/264 علل الشرائع، ص3/459.

الإهداء

يقال عندما تغيب الأحباب، تبقى الذكريات ....

إلى روح أبي الغالي الذي ما زال حاضرًا في قلبي

هدية من القلب لروحك الطاهرة وأعمامي، الذين لم يغيبوا بل بقوا جزءًا مني وتذكيرًا بكم جميعًا"

أهدي هذا الكتاب عرفانًا بالجميل لحياة أبي وأعمامي، الذين بصموا بصمة لا تُنسى في حياتي"

"اللهم اغفر لهم وارحمهم واعف عنهم، اللهم ارزقهم الجنة واجمعنا بهم فيها، واجعل قراءة هذا الكتاب صدقة جارية لأرواحهم الطاهرة"

اللهم ولا تنسي ذكرهم في أطراف صلواتي، وفي كل ساعة من ساعات حياتي، واغفر لي بدعائي لهم، واغفر لهم ببرهم لي يا أرحم الرحمين.

ولدكم

محمد السمناوي

المقدمة

تعتبر الزيارة الجامعة الكبيرة هي نصٌّ من النصوص الدينيَّة عند الطائفة الإماميّة المرويّة بطرقهم عن الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ رواها إبن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق(حدود 306 هـ ـ 381 هـ) في كتابيه عيون أخبار الرضا ومن لا يحضره الفقيه عن الإمام العاشر علي بن محمد الهادي عليه السلام، ويزور بها الشيعة الأئمة عليهم السلام فيتلونها في مشاهدهم وأضرحتهم الشريفة، كما يتلونها في مساجدهم وحسينياتهم (المباني الموقوفة على إحياء أمر أهل البيت) وبيوتهم. وبالإضافة إلى الصدوق فقد رواها شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي(385 ـ 460 هـ) في كتابه التهذيب.

وهي زيارة مشتملة على بيان مقامات أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومبينة لصفاتهم ومناقبهم، وما آتاهم الله تعالى من الفضل الذي لم ينله غيرهم، وهذه الصفات والمناقب والمقامات التعريفيّة بهم فقد جاءت على لسان الإمام الهادي عليه السلام، وهو في صدد ذكر وتعداد تلك الحقائق الثابتة لآبائه وأجداده على شكل زيارة يزارون بها في جميع الأوقات والمناسبات، ولذا تعد هذه الزيارة بنظر المؤلف هي" **الزيارة الجامعة الكبيرة البطاقة المعرفية لآل محمد عليهم السلام**"، ومن أراد أن يتعرف على هذه المناقب والصفات العالية لهم عليهم السلام فليقرأ هذا البطاقة المعرفية.

وقد أهتم المتخصِّصون من الشيعة بشرح الأحاديث والأدعيّة والزيارات وغيرها من النصوص الدينيَّة، وقد أعدَّ أغا بزرگ الطهراني في موسوعته" **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**" قائمة ببعض الشروح التي كتبها علماء الشيعة في شرح الزيارة الجامعة، وذكرها تحت عنوان شرح الزيارة الجامعة، كما ذكر كلَّ شرح بعنوانه المستقل إن كان له عنوان مختلف، وقال قبل إيراده للشروح : "**بما أن في بعض تلك الزيارات جملاً وفقرات متشابهة**

تحتاج إلى الشرح والتوضيح والبيان لرد الاعتراض ودفع الانتقاد عمد جمع من الأعلام إلى شرحها وبيان المراد منها وأنَّه في بعض المقامات غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ"[1].

وقام الباحث ناصر الدين الأنصاري القمي بإعداد مقالة بعنوان" **كتابشناسى زيارت جامعهٔ كبيره**" تتضمن شروحاً وكتباً أكثر تتعلَّق بالزيارة الجامعة، وقد نُشرت في مجلة علوم الحديث الفارسيَّة، ومن هذه الشروح والمؤلَّفات:

1. **شرح الزيارة الجامعة** شرح الشيخ المحدث محمد تقي المجلسي(1070هـ)، وهو في الأساس جزء من كتابه روضة المتقين، والذي هو شرحٌ على كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق حيث يرويها الصدوق هناك.

2. **شرح الزيارة الجامعة:** شرح لبهاء الدين محمد بن محمد باقر الحسيني النائيني المختاري (1140 هـ).

3. **الأعلام اللامعة شرح الزيارة الجامعة:** شرح لمحمد بن عبد الكريم الطباطبائي البروجردي (1160 هـ) .

4. **شرح الزيارة الجامعة الكبيرة:** شرح في عدَّة مجلَّدات لأحمد بن زين الدين الأحسائي (1241 هـ) الذي تُنسب إليه المدرسة الشيخيّة، وهذا الشرح من أهم مؤلَّفات الأحسائي، وقد نُقد المؤلف على بعض آرائه وتحقيقاته في هذا الشرح وغيره من تصانيفه على حدِّ تعبير آغا برزك الطهراني ذكره لهذا الشرح، وقد قام السيد محمد حسين الشهرستاني بتلخيص هذا الشرح وتهذيبه، وسمَّى المختصر تلويح الإشارة في تلخيص شرح الزيارة.

([1]) الطهراني، أغا بزرك، الدريعة إلى تصانيف الشيعة، ج13، ص305.

5. **الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة:** شرح للسيد عبد الله شبَّر (1242 هـ)، وقد تُرجم إلى الفارسيّة.

6. **شرح الزيارة الجامعة:** شرح لعلي نقي بن السيد حسين المعروف بالحاج آغا ابن السيد المجاهد الطباطبائي الحائري (1289 هـ).

7. **البروق اللامعة:** كتاب من تأليف علي بن جعفر شريعتمدار الأسترآبادي (1315 هـ)، وهو حاوٍ لتعليقات على الزيارة الجامعة وعلى بعض الأدعيّة المتداولة، وقد قام المؤلِّف بنفسه بترجمة الكتاب إلى الفارسيَّة .

8. **الشموس الطالعة في شرح الزيارة الجامعة:** شرح لريحان الله البروجردي (1328) هـ.

9. **الشموس الطالعة في شرح زيارة الجامعة:** السيد حسين الهمداني الدرود آبادي1280(هـ 1343هـ). تحقيق: نبيل رضا علوان.

10. **حقائق الأسرار:** شرح لمحمد تقي النجفي الإصفهاني (1332 هـ)، وقد ترجم المؤلِّف بنفسه الكتاب إلى الفارسيّة.

11. **شرح الزيارة الجامعة:** شرح لمحمد علي الچهاردهي الرشتي النجفي(1334) هـ.

12. **الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة:** شرح لمحمد رضا الغراوي(1385) هـ.

13. **أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة:** تعريب لكتاب محمد الوحيدي (1421 هـ) المسمَّى پرتو ولايت، والمعرِّب هو هاشم الصالحي.

14. **في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة:** دراسات في الزيارة الجامعة الكبيرة لعلي الحسيني الصدر.

15. **سند الزيارة الجامعة:** بحثٌ سندي حول سند الزيارة الجامعة الكبيرة لياسين الموسوي.

16. **الصوارم القاطعة والحجج اللامعة في إثبات صحة الزيارة الجامعة:** بحثٌ سندي حول صحة الزيارة الجامعة لعبد الكريم العقيلي .

17. **ولاة أمر الله دروس من الزيارة الجامعة؛** لأحمد الماحوزي، إعداد وتدوين: محمد عبد الله نجم.

18. **المعارف الرافعة في شرح الزيارة الجامعة،** لعلي نظامي بور الهمداني.

19. **مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة،** لعلي الحسيني الميلاني.

20. **أداب فناء المقربين شرح زيارة الجامعة الكبيرة،** عبد الله الجوادي الطبري الآملي.

كما يوجد جملة من الشروح الأخرى لهذه الزيارة المباركة باللغة الفارسيّة، وإن بعضها لا يزال في عالم المخطوطات في الخزائن والمكتبات الخاصة، وقد استفدنا في شرحنا هذا الموسوم" **الزيارة الجامعة دستور آل محمد**" من هذه الشروحات ومن غيرها، كما ان هناك قافية كتبها السيد محمد علي الحكيم، والتي جاءت بعنوان" **القوافي اللامعة في الزيارة الجامعة**"، حيث قام بكتابتها في حرم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وتم نشرها عام 1426هـ في مجلة تراثنا/84.83، وارتأينا أن نأتي بعد شرح ونهاية كل فقرة من الزيارة بما يناسبها من جهة القافيّة.

صحة مضامين الزيارة الجامعة العقائديّة

ربما يتوهَّم بعضهم أن بعض فقرات الزيارة الجامعة تتنافى مع كتاب الله العزيز، مثل قوله السلام في هذه الزيارة: "**وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم**"، فإنها تتنافى مع قوله تعالى :﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ *ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** ﴾ [1].

([1]) سورة الغاشية/الآية:25و26.

إلا أن هذا الوهم خاطئ؛ إذ لا منافاة بين هذه الفقرة وبين الآيتين الكريمتين؛ لأن الإياب إلى أهل البيت عليهم السلام هو إياب إلى الله تعالى، لأنهم خلفاؤه، وحججه، والقائمون بأمره، ومحاسبتهم عليهم السلام للخلائق إنما هو بأمر الله تعالى، لأن الله سبحانه لا يتولى حساب الخلائق بنفسه، وإنما يوكل ذلك إلى بعض خلقه، من حججه وملائكته، فلما كان كل ذلك بأمره تعالى كان هو الفاعل الحقيقي.

ونظير ذلك ما دل من الآيات على أن الله تعالى هو الذي يتوفى الأنفس، مثل قوله تعالى :﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1]، وقوله سبحانه :﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ...** ﴾[2].

ومثل ما دل من آيات الكتاب العزيز على أن الله تعالى هو الذي يحيي ويميت، مثل قوله تعالى :﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾[3]، وقوله :﴿ **هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [4].

مع أن آيات أخر دلت على أن الذين يتوفون الأنفس هم الملائكة، أو ملك الموت. منها: قوله تعالى :﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ** ﴾ [5]، وقوله سبحانه :﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا**

([1]) سورة الزمر/الآية:42.

([2]) سورة النحل الآية/70.

([3]) سورة التوبة/الآية:116.

([4]) سورة يونس/الآية:56.

([5]) سورة الانعام/الآية:61.

الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [1]، وقوله عز من قائل :﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** ﴾[2].

وهذه الآيات لا منافاة بينها؛ لأن الملائكة إنما يتوفون الأنفس بأمر الله تعالى، فالله هو الفاعل الحقيقي، وكذا الحال في حساب الخلائق يوم القيامة.

وكيف كان فإن مضامين الزيارة الجامعة صحيحة لا إشكال في صحتها كما مر في كلام الأعلام السابقين، وقد صرح جمع آخرون أيضا من أعلام المذهب بأن مضامين الزيارة الجامعة صحيحة، وان العديد من فقراتها مقتبسة من **(القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة)**.

وعلى سبيل المثال قال المرجع الديني ميرزا جواد التبريزي ﷺ:" وعليه، فالاعتقاد بأن للأئمة عليهم السلام مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ما عدا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو الاعتقاد بالمضامين التي جاءت في الزيارة الجامعة الكبيرة بنوعها صحيح، يوافق عقيدة المؤمن"[3].

والنتيجة أنه لا إشكال في صحة مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، وعلى القارئ أن يقرأ ما كتب في شرحها، لينحل له ما ربما يتراءى له من الإشكالات الناشئة من عدم المعرفة الكافية لمقامات أئمة أهل البيت عليهم السلام[4].

([1]) سورة الأنفال/الآية:50.

([2]) سورة السجدة/الآية:11.

([3]) التبريزي، صراط النجاة، ج3، ص418.

([4]) نقلا عن الموقع الرسمي لسماحة الشيخ علي آل محسن.

متن الزيارة الجامعة الكبيرة

روى الصّدوق أيضاً في الفقيه والعيون عن موسى بن عبد الله النّخعي انّه قال للإمام عليّ النّقي (عليه السلام): علّمني يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زُرت واحداً منكم، فقال: إذا صرت الى الباب فقف واشهد الشّهادتين أي قُل :اَشْهَدُ اَنْ لا اِلهَ اِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وأنت على غُسل، فاذا دخلت ورأيت القبر فقف وقُل: اَللهُ اَكْبَرُ ثلاثين مرّة، ثمّ امشِ قليلاً وعليك السّكينة والوقار وقارب بين خطاك ثمّ قف وكبّر الله وعجل ثلاثين مرّة، ثمّ ادنُ من القبر وكبّر الله أربعين مرّة تمام مائة تكبيرة، ولعلّ الوجه في الامر بهذه التّكبيرات هو الاحتراز عمّا قد تورثه أمثال هذه العبارير الواردة في الزّيارة من الغُلوّ أو الغفلة عن عظمة الله سبحانه وتعالى فالطّباع مائلة الى الغلوّ أو غير ذلك من الوجوه، ثمّ قُل:

السَّلامُ عَلَيكُمْ يا أهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ وَمَوضِعَ الرِّسالَةِ وَمُختَلَفَ المَلائِكَةِ وَمَهبِطَ الوَحي وَمَعدِنَ الرَّحمَةِ وَخُزَّانَ العِلمِ وَمُنتَهى الحِلمِ وَأُصُولَ الكَرَمِ وَقادَةَ الأُمَمِ وَأَولياءِ النِّعَمِ وَعَناصِرَ الأبرارِ وَدَعائِمَ الأخيارِ وَساسَةَ العِبادِ وَأركانَ البِلادِ وَأبوابَ الإيمانِ وَأُمَناءَ الرَّحمنِ وَسُلالَةَ النَّبِيّينَ وَصَفوَةَ المُرسَلِينَ وَعِترَةَ خِيرَةِ رَبِّ العالَمِينَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، السَّلامُ عَلى أئِمَّةِ الهُدى وَمَصابِيحِ الدُّجى وَأعلامِ التُّقى وَذَوي النُّهى وَأُولي الحِجى وَكَهفِ الوَرى وَوَرَثَةِ الأنبياءِ وَالمَثَلِ الأعلى وَالدَّعوَةِ الحُسنى وَحُجَجِ اللهِ عَلى أهلِ الدُّنيا وَالآخِرةِ وَالأُولى وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، السَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعرِفَةِ اللهِ وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ وَمَعادِنِ حِكمَةِ اللهِ وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ وَحَمَلَةِ كِتابِ اللهِ وَأوصياءِ نَبِيِّ اللهِ وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، السَّلامُ عَلى الدُّعاةِ إلى اللهِ وَالأدِلّاءِ عَلى مَرضاةِ اللهِ وَالمُستَقِرِّينَ في أمرِ اللهِ وَالتَّامِّينَ في مَحَبَّةِ اللهِ وَالمُخلِصِينَ في تَوحِيدِ اللهِ المُظهِرِينَ لأمرِ اللهِ وَنَهيِهِ وَعِبادِهِ المُكرَمِينَ الَّذِينَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ

وَهُم بِأمرِهِ يَعمَلُونَ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، السَّلامُ عَلى الأئِمَّةِ الدُّعاةِ وَالقادَةِ الهُداةِ وَالسَّادَةِ الوُلاةِ وَالذَّادَةِ الحُماةِ وَأهلِ الذِّكرِ وَأُولي الأمر وَبَقِيَّةِ اللهِ وَخِيَرَتِهِ وَحِزبِهِ وَعَيبَةِ عِلمِهِ وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ. أشهَدُ أن لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَهُ كَما شَهِدَ اللهُ لِنَفسِهِ وَشَهِدَت لَهُ مَلائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلمِ مِن خَلقِهِ لا إلهَ إلاّ هُوَ العزِيزُ الحَكِيمُ، وَأشهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ المُنتَجَبُ وَرَسُولُهُ المُرتَضى أرسَلَهُ بِالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ، وَأشهَدُ أنَّكُم الأئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ المَعصُومُونَ المُكَرَّمُونَ المُقَرَّبُونَ المُتَّقُونَ الصَّادِقُونَ المُصطَفَونَ المُطِيعُونَ للهِ القَوَّامُونَ بِأمرِهِ العامِلُونَ بِإرادَتِهِ الفائِزُونَ بِكَرامَتِهِ، اصطَفاكُم بِعِلمِهِ وَارتَضاكُم لِغَيبِهِ وَاختارَكُم لِسِرِّهِ وَاجتَباكُم بِقُدرَتِهِ وَأعَزَّكُم بِهُداهُ وَخَصَّكُم بِبُرهانِهِ وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ وَأيَّدَكُم بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُم خُلَفاءَ في أرضِهِ وَحُجَجاً عَلى بَرِيَّتِهِ وَأنصاراً لِدِينِهِ وَحَفَظَةً لِسِرِّهِ وَخَزَنَةً لِعِلمِهِ وَمُستَودَعاً لِحِكمَتِهِ وَتَراجِمَةً لِوَحيِهِ وَأركاناً لِتَوحِيدِهِ وَشُهَداءَ عَلى خَلقِهِ وَأعلاماً لِعِبادِهِ وَمَناراً في بِلادِهِ وَأدِلّاءَ عَلى صِراطِهِ، عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ وَآمَنَكُم مِنَ الفِتَنِ وَطَهَّرَكُم مِنَ الدَّنَسِ وَأذهَبَ عَنكُمُ الرِّجسَ وَطَهَّرَكُم تَطهِيراً، فَعَظَّمتُم جَلالَهُ وَأكبَرتُم شَأنَهُ وَمَجَّدتُم كَرَمَهُ وَأدَمتُم ذِكرَهُ وَوَكَّدتُم مِيثاقَهُ وَأحكَمتُم عَقدَ طاعَتِهِ وَنَصَحتُم لَهُ في السِّرِّ وَالعَلانِيَّةِ وَدَعَوتُم إلى سَبِيلِهِ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَبَذَلتُم أنفُسَكُم في مَرضاتِهِ وَصَبَرتُم عَلى ما أصابَكُم في جَنبِهِ، وَأقَمتُم الصَّلاةَ وَآتَيتُم الزَّكاةَ وَأمَرتُم بِالمَعرُوفِ وَنَهَيتُم عَنِ المُنكَرِ وَجاهَدتُم في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ، حَتّى أعلَنتُم دَعوَتَهُ وَبَيَّنتُم فَرائِضَهُ وَأقَمتُم حُدُودَهُ وَنَشَرتُم شَرائِعَ أحكامِهِ وَسَنَنتُم سُنَّتَهُ وَصِرتُم في ذلِكَ مِنهُ إلى الرِّضا وَسَلَّمتُم لَهُ القَضاءَ وَصَدَّقتُم مِن رُسُلِهِ مَن مَضى، فَالرَّاغِبُ عَنكُم مارِقٌ وَاللازِمُ لَكُم لاحِقٌ وَالمُقَصِّرُ في حَقِّكُم زاهِقٌ وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإلَيكُم وَأنتُم أهلُهُ وَمَعدِنُهُ، وَمِيراثُ النُّبُوَّةِ عِندَكُم وَإيابُ الخَلقِ إلَيكُم وَحِسابُهُم عَلَيكُم وَفَصلُ الخِطابِ عِندَكُم وَآياتُ اللهِ لَدَيكُم وَعَزائِمُهُ فِيكُم وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِندَكُم وَأمرُهُ إلَيكُم.

مَن وَالاكُم فَقَد وَالى اللهَ وَمَن عاداكُم فَقَد عادى اللهَ وَمَن أحَبَّكُم فَقَد أحَبَّ اللهَ وَمَن أبغَضَكُم فَقَد أبغَضَ اللهَ وَمَن اعتَصَمَ بِكُم فَقَد اعتَصَمَ بِاللهِ، أنتُمُ الصِّراطُ الأقوَمُ وَشُهَداءُ دارِ الفَناءِ وَشُفَعاءُ دارِ البَقاءِ وَالرَّحمَةُ المَوصُولَةُ وَالآيَةُ المَخزُونَةُ وَالأمانَةُ المَحفُوظَةُ وَالبابُ المُبتَلى بِهِ النَّاسُ، مَن أتاكُم نَجا وَمَن لَم يا تِكُم هَلَكَ إلى اللهِ تَدعُونَ وَعَلَيهِ تَدُلُّونَ وَبِهِ تُؤمِنُونَ وَلَهُ تُسَلِّمُونَ وَبِأمرِهِ تَعمَلُونَ وَإلى سَبِيلِهِ تُرشِدُونَ وَبِقَولِهِ تَحكُمُونَ، سَعَدَ مَن وَالاكُم وَهَلَكَ مَن عاداكُم وَخابَ مَن جَحَدَكُم وَضَلَّ مَن فارَقَكُم وَفازَ مَن تَمَسَّكَ بِكُم وَأمِنَ مَن لَجَأ إلَيكُم وَسَلِمَ مَن صَدَّقَكُم وَهُدِيَ مَن اعتَصَمَ بِكُم. مَنِ اتَّبَعَكُم فَالجَنَّةُ مَأواهُ وَمَن خالَفَكُم فَالنَّارُ مَثواهُ، وَمَن جَحَدَكُم كافِرٌ وَمَن حارَبَكُم مُشرِكٌ وَمَن رَدَّ عَلَيكُم في أسفَلِ دَرَكٍ مِنَ الجَحِيمِ.

أشهَدُ أنَّ هذا سابِقٌ لَكُم فِيما مَضى وَجارٍ لَكُم فِيما بَقِيَ وَأنَّ أرواحَكُم وَنُورَكُم وَطِينَتَكُم وَاحِدَةٌ طابَت وَطَهُرَت بَعضُها مِن بَعضٍ، خَلَقَكُمُ اللهَ أنواراً فَجَعَلَكُم بِعَرشِهِ مُحدِقِينَ حَتّى مَنَّ عَلَينا بِكُم فَجَعَلَكُم في بُيُوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فِيها اسمُهُ، وَجَعَلَ صَلاتَنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم طِيباً لِخَلقِنا وَطَهارَةً لأنفُسِنا وَتَزكِيَةً لَنا وَكُفّارَةً لِذُنُوبِنا، فَكُنّا عِندَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضلِكُم وَمَعرُوفِينَ بِتَصدِيقِنا إياكُم، فَبَلَغَ اللهُ بِكُم أشرَفَ مَحَلِّ المُكَرَّمِينَ وَأعلى مَنازِلَ المُقَرَّبِينَ وَأرفَعَ دَرَجاتِ المُرسَلِينَ حَيثُ لا يَلحَقُهُ لاحِقٌ وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ وَلا يَسبِقُهُ سابِقٌ وَلا يَطمَعُ في إدراكِهِ طامِعٌ، حَتّى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهِيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ وَلا مُؤمِنٌ صالِحٌ وَلا فاجِرٌ طالِحٌ وَلا جَبّارٌ عَنِيدٌ وَلا شَيطانٌ مَرِيدٌ وَلا خَلقٌ فِيما بَينَ ذلِكَ شَهِيدٌ إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أمرِكُم وَعِظَمَ خَطَرِكُم وَكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُم وَصِدقَ مَقاعِدِكُم وَثَباتَ مَقامِكُم وَشَرَفَ مَحَلِّكُم وَمَنزِلَتِكُم عِندَهُ وَكَرامَتَكُم عَلَيهِ وَخاصَّتَكُم لَدَيهِ وَقُربَ مَنزِلَتِكُم مِنهُ. بِأبي أنتُم وَأُمّي وَأهلي وَمالي وَأُسرَتِي، أُشهِدُ اللهَ وَأُشهِدُكُم أنّي مُؤمِنٌ بِكُم وَبِما آمَنتُم بِهِ كافِرٌ بِعَدُوِّكُم وَبِما كَفَرتُم بِهِ مُستَبصِرٌ بِشَأنِكُم وَبِضَلالَةِ مَن خالَفَكُم مُوالٍ لَكُم وَلأوليائِكُم مُبغِضٌ

لأعدائِكُم وَمُعادٍ لَهُم، سِلمٌ لِمَن سالَمَكُم وَحَربٌ لِمَن حارَبَكُم مُحَقِّقٌ لِما حَقَّقتُم مُبطِلٌ لِما أبطَلتُم مُطِيعٌ لَكُم عارِفٌ بِحَقِّكُم مُقِرٌّ بِفَضلِكُم مُحتَمِلٌ لِعِلمِكُم مُحتَجِبٌ بِذِمَّتِكُم مُعتَرِفٌ بِكُم مُؤمِنٌ بِإِيابِكُم مُصَدِّقٌ بِرَجعَتِكُم مُنتَظِرٌ لأمرِكُم مُرتَقِبٌ لِدَولَتِكُم، آخِذٌ بِقَولِكُم عامِلٌ بَأمرِكُم مُستَجِيرٌ بِكُم زائِرٌ لَكُم لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم مُستَشفِعٌ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُم وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم إلَيهِ وَمُقَدِّمُكُم أمامَ طَلِبَتي وَحَوائِجي وَإرادَتي في كُلِّ أحوالي وَأُمُورِي، مُؤمِنٌ بِسِرِّكُم وَعَلانِيَتِكُم وَشاهِدِكُم وَغائِبِكُم وَأوَّلِكُم وَآخِرِكُم وَمُفَوِّضٌ في ذلِكَ كُلِّهِ إلَيكُم وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُم، وَقَلبي لَكُم مُسَلِّمٌ وَرأيي لَكُم تَبَعٌ وَنُصرَتي لَكُم مُعَدَّةٌ حَتّى يُحيي اللهَ تَعالى دِينَهُ بِكُم وَيَرُدَّكُم في أيامِهِ وَيُظهِرَكُم لِعَدلِهِ وَيُمَكِّنَكُم في أرضِهِ، فَمَعَكُم مَعَكُم لا مَعَ غَيرِكُم آمَنتُ بِكُم وَتَوَلَّيتُ آخِرَكُم بِما تَوَلَّيتُ بِهِ أوَّلَكُم وَبَرِئتُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن أعدائِكُم، وَمِنَ الجِبتِ وَالطَّاغُوتِ وَالشياطِين وَحِزبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُم الجاحِدِينَ لِحَقِّكُم وَالمارِقِينَ مِن وِلايَتِكُم وَالغاصِبِينَ لإرثِكُم الشَّاكِّينَ فِيكُم المُنحَرِفِينَ عَنكُم وَمِن كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُم وَكُلِّ مُطاعٍ سِواكُم، وَمِنَ الأئِمَّةِ الَّذِينَ يَدعُونَ إلى النَّارِ. فَثَبَّتَنيَ اللهُ أبَداً ما حَيِيتُ عَلى مُوالاتِكُم وَمَحَبَّتِكُم وَدِينِكُم وَوَفَّقَني لِطاعَتِكُم وَرَزَقَني شَفاعَتَكُم وَجَعَلَني مِن خِيارِ مَوالِيكُم التَّابِعِينَ لِما دَعَوتُم إلَيهِ، وَجَعَلَني مِمَّن يَقتَصُّ آثارَكُم وَيَسلُكُ سَبِيلَكُم وَيَهتَدي بِهُداكُم وَيُحشَرُ في زُمرَتِكُم وَيَكُرُّ في رَجعَتِكُم وَيُملَّكُ في دَولَتِكُم وَيُشَرَّفُ في عافِيَتِكُم وَيُمَكَّنُ في أيامِكُم وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم.

بِأبي أنتُم وَأُمّي وَنَفسي وَأهلي وَمالِي، مَن أرادَ اللهَ بَدَأ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم، مَوالِيَّ لا أُحصي ثَناءَكُم وَلا أبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم وَأنتُم نُورُ الأخيارِ وَهُداةُ الأبرارِ وَحُجَجُ الجَبَّارِ، بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أن تَقَعَ عَلى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ

رُسُلُهُ وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ وَإلى جَدِّكُم (وإن كانت الزيارة لأمير المؤمنين (عليه السلام) فعوض: وإلى جدّكم قل: وإلى أخيك) بُعِثَ الرُّوحُ الأمِينُ.

آتاكُمُ اللهُ مالَم يُؤتِ أحَداً مِنَ العالَمِينَ، طَأطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضلِكُم وَذَلَّ كُلُّ شيءٍ لَكُم وَأشرَقَتِ الأرضُ بِنُورِكُم وَفازَ الفائِزُونَ بِوِلايَتِكُم، بِكُم يُسلَكُ إلى الرِّضوانِ وَعَلى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمنِ. بِأبي أنتُم وَأُمّي وَنَفسي وَأهلي وَمالِي، ذِكرُكُم في الذَّاكِرِينَ وَأسماؤُكُم في الأسماءِ وَأجسادُكُم في الأجسادِ وَأرواحُكُم في الأرواحِ وَأنفُسُكُم في النُّفُوسِ وَآثارُكُم في الآثارِ وَقُبُورُكُم في القُبُورِ، فَما أحلى أسماءَكُم وَأكرَمَ أنفُسَكُم وَأعظَمَ شَأنَكُم وَأجَلَّ خَطَرَكُم وَأوفى عَهدَكُم وَأصدَقَ وَعدَكُم، كَلامُكُم نُورٌ وَأمرُكُم رُشدٌ وَوَصِيَّتُكُم التَّقوى وَفِعلُكُم الخَيرُ وَعادَتُكُم الإحسانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ، إن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ بِأبي أنتُم وَأُمّي وَنَفسِي، كَيفَ أصِفُ حُسنَ ثَنائِكُم وَأُحصي جَمِيلَ بَلائِكُم وَبِكُم أخرَجَنا اللهُ مِنَ الذُّلِّ وَفَرَّجَ عَنّا غَمَراتِ الكُرُوبِ وَأنقَذَنا مِن شَفا جُرُفِ الهَلَكاتِ وَمِنَ النَّارِ، بِأبي أنتُم وَأُمّي وَنَفسي بِمُوالاتِكُم عَلَّمَنا اللهُ مَعالِمَ دِينِنا وَأصلَحَ ما كانَ فَسَدَ مِن دُنيانا وَبِمُوالاتِكُم تَمَّتِ الكَلِمَةُ وَعَظُمَتِ النِّعمَةُ وَائتَلَفَتِ الفُرقَةُ وَبِمُوالاتِكُم تُقبَلُ الطَّاعَةُ المُفتَرَضَةُ، وَلَكم المَوَدَّةُ الواجِبَةُ وَالدَّرَجاتِ الرَّفِيعَةُ وَالمَقامُ المَحمُودُ وَالمَكانُ المَعلُومُ عِندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالجاهُ العَظِيمُ وَالشَأنُ الكَبِيرُ وَالشَّفاعَةُ المَقبُولَةُ.

رَبَّنا آمَنَّا بِما أنزَلتَ وَاتَّبَعنا الرَّسُولَ فَاكتُبنا مَعَ الشَّاهِدِينَ، رَبَّنا لا تُزِغ قُلُوبَنا بَعدَ إذ هَدَيتَنا وَهَب لَنا مِن لَدُنكَ رَحمَةً إنَّكَ أنتَ الوَهَّابُ، سُبحانَ رَبِّنا إن كانَ وَعدُ رَبِّنا لَمَفعُولاً. يا وَلِيَّ اللهِ إنَّ بَيني وَبَينَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لا يا تي عَلَيها إلاّ رِضاكُم فَبِحَقِّ مَن ائتَمَنَكُم عَلى سِرِّهِ وَاستَرعاكُم أمرَ خَلقِهِ وَقَرَنَ طاعَتَكُم بِطاعَتِهِ، لَمَّا استَوهَبتُم ذُنُوبي وَكُنتُم شُفَعائي فَإنّي

لَكُم مُطِيعٌ، مَن أطاعَكُم فَقَد أطاعَ اللهَ وَمَن عَصاكُم فَقَد عَصى اللهَ وَمَن أحَبَّكُم فَقَد أحَبَّ اللهَ وَمَن أبغَضَكُم فَقَد أبغَضَ اللهَ.

اللهُمَّ إنّي لَو وَجَدتُ شُفَعاءَ أقرَبَ إلَيكَ مِن مُحَمَّدٍ وَأهلِ بَيتِهِ الأخيارِ الأئِمَّةِ الأبرارِ لَجَعَلتَهُم شُفَعائِي، فَبِحَقِّهِمُ الَّذي أوجَبتَ لَهُم عَلَيكَ أسأَلُكَ أن تُدخِلَني في جُملَةِ العارِفِينَ بِهِم وَبِحَقِّهِم وَفي زُمرَةِ المَرحُومِينَ بِشَفاعَتِهِم إنَّكَ أرحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ كَثِيراً وَحَسبُنا الله وَنِعمَ الوَكِيلِ.

1. يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّة

أجمعت المعاجم على أن البيت يطلق ويراد منه دار الرجل ومسكنه. قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [1].

فإذا كان البيت هو المأوى والمنزل، فله مراتب ودرجات، فالقصر الشاهق بيت كما أن الخبأ المصنوع من الصوف والشعر أيضاً بيت، وقد عد القرآن نسيج العنكبوت بيتاً له قال سبحانه: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [2].

هذا ما يركز عليه أهل اللغة، ولكن له معنى آخر يستعمل فيه حقيقة أو مجازاً، وهو أنه يطلق البيت ويراد منه مكامن الشرف، فيقال " بيت العرب " أي شرفها.

ويستعمل في معنيين آخرين في الموروث الروائي الشريف الأول الظاهري والثاني معنوي:

1. بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم الظاهري، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " **وعترتي أهل بيتي**"[3]، فأهل البيت بهذا المعنى أي: ذريته ومن هم من صلبه، ويراد به أيضاً بيت العلم حيث إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو بيت العلم، وأهله أهل بيت هذا العلم النبوي الظاهري؛ لأنهم عليهم السلام حفظته وورثته في الأمة، وهذا يعني أن علومهم التي ورثوها كابر عن كابر هي من علوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(1) سورة النور/الآية: 29.

(2) سورة العنكبوت/الآية:41.

(3) الصفار، بصائر الدرجات، ص433.

2. أن يراد منه البيت المعنوي، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو بيت النبوة، وكذلك الأئمة بيوتهم كبيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم البيت الأعظم والمدينة، وهم عليهم السلام البيوتات المتشعبة عنه، وأبواب البيت الأعظم، وقد قال النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم :" **أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا تؤتى المدينة إلا من بابها**"[1].

فالمقصود من أهل البيت عليهم السلام هم الأئمة؛ لأن النبي منهم، وهم من صلبه، والرسالة نزلت في بيوتهم، وأهل البيت أعرف بما فيه، وهم أصحاب الكساء، والحاوين لأسرار النبوة والتنزيل والعالمين بأحكام التأويل، فبيت النبوة هو المقصود لا بيت سكناه، وقد دلت الأخبار أنهم مطهرون من الذنوب، معصومون من الزلل والخطأ وأتباع الهوى في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، ولم يشركوا طرفة عين، وأن أهل بيت النبوة لابد أن يكونوا مخصوصين بما يختص به الأنبياء، فهم موضع معرفة الله، وبواسطتهم يعرف ويعبد، وأن من توجه إليهم فقد توجّه إلى الله، ومن قصدهم فقد قصد الله، ولا يكفي مجرد كونهم على خير، وأن حقيقة النبوة منصب إلهي لا يبلغ بها عقول العقلاء حتى يختاروا لأنفسهم نبياً أو يختاروا وصياً، ومن هنا كان هذا البيت بيت النبوة والولاية هو الرابط بين الأرض والسماء، ووثيقة الصلة بالفضائل والكمالات المعنويّة، وهي مواد البناء التي بنيَّ عليها هذا البيت المبارك.

فلكما ارتبطت الأمة ببيت النبوة المبارك أصبحت هذه الأمة مباركة، فكل بيت اليوم يجب أن يُظهر الإحتياج والفقر أمام هذه البيوت، فالبيت الذي يكون على صلة وثيقة ببيت آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قطعاً سوف يتأثر بالفضائل والكمالات، وتعمر البيوت والأسر والمجتمعات الإنسانيّة، ومن هنا كانت معرفة أهل بيت النبوة هي الأساس في بناء الإنسان، "**وعلى معرفتهم دارت القرون الأولى**"، كما في الخبر.

---

(1) إبن البطريق، العمدة، ص285.

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق هو أن الأئمة عليهم السلام كانوا أهل بيت النبوة منذ القدم، وأن وجود الأنبياء كان ببركتهم ونبوّاتهم كانت قائمة بوجود أهل بيت رسول الإسلام، وقد جاء في الحديث عند الفريقين أن الله عز وجل خاطب آدم عليه السلام مشيراً إلى أهل البيت عليهم السلام وهم في عالم الأشباح:" **هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم لما خلقتك، ولا خلقت الجنة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الجن ولا الإنس... فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسل..**"[1]، وقد دلَّ هذا الحديث على أن أصل وجود الأنبياء ونبوئتهم ببركة أهل البيت عليهم السلام، وأنه لولاهم لما كانوا ولما كانت النبوات، والأخبار في هذا المعنى عند الفريقين كثيرة، وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن الباقر عليه السلام قال : "**نحن بيت الله والبيت العتيق وبيت الرَّحمة وأهل بيت النبوة**"[2].

ومع ما ذكر لأهل هذا البيت الطاهر- محمد وآل محمد- من فضائل ومحاسن نجد أن الكثير من المذاهب وأهل الأفكار والآراء الفاسدة كانت تحاربهم جيلاً بعد جيل، دولة بعد دولة، حاكم بعد حاكم بهدف طمس علومهم ومبادئهم ومنهجهم في الدين والحياة، وهذا ما عبر عنه بأنهم" **الباب المبتلى به الناس**" كما سوف يأتي الحديث عن هذه الفقرة، فهم مقياس الحركة الدينيّة في الأرض، ومن يطلع على سياسة الدول عبر التاريخ في عملية الإقصاء والتصفيّة والطمس بداً من حكام بني أميّة وبنو العباس، والعثمانيون، والحركات المتطرفة التكفيريّة كما حال الفكر الوهابي الذي زُرع في شبه الجزيرة العربيّة، فقد اجتمعت كل هذه الإتجاهات عبر التاريخ على هدف واحد هو طمس معالم أهل بيت النبوة، وإظهار شخصيات أعدائهم وتقدسيها كما

---

(1) فرائد السمطين، ج1، ص36؛ بحار الأنوار، ج27، ص5.

(2) النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج1، ص 451.

فعلوا في تقديس وتعظيم الكثير من الصحابة الذين صنفهم القرآن الكريم بالمنافقين، وقد نزلت سورة كاملة في حقهم، والكثير من الآيات المتفرقة.

ومن أحب الإستفادة أكثر عليه مراجعة ما رواه الفريقين في تفسير آية التطهير التي نزلت في أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم [1].

يقول السيد محمد علي الحكيم في أرجوزته:

قُل **السَّلامُ** سادَتي علَيْكُمْ وأصـــــلُهُ وفرْعُهُ إلَيْكُمْ

رَمْزُ التُّقى والودِّ والأخُوَّة **يا أهلَ بَيْتِ** العِلْمِ و**النُّبُوَّة**

2. وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ

الموضع: أسم مكان، بمعنى جعل شيء في محل، وهو مشتق من المادة فالموضع معناه المحل، أي مخزن وحملة علوم جميع الرسل والأنبياء من آدم إلى الخاتم عليهم السلام، وموضع أسرار أنبياء الله تعالى؛ لأنهم يخبرون عن مراده تعالى كإخبار الرسول من غير فرقٍ بينهما، ولهذا كان كلامهم عليهم السلام تالياً للقرآن الكريم، فما يخبرون به عين ما يريد الله تعالى أمراً ونهياً وفعلاً وتركاً.

---

(1) ينظر: معاني الاخبار، ص290؛ بحار الأنوار، ج4، ص322؛ نهج البلاغة، خطبة 186؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام،ج1، ص239؛ الكافي، ج1، ص210؛ تفسير القمي، ج2، ص68؛ بصائر الدرجات، ص44؛ تفسير العياشي، ج2، ص260؛ الطرائف، ج1، ص162؛ مسند أحمد بن حنبل، ج3، ص14؛ صحيح مسلم، ج4، ص1492؛ مناقب أمير المؤمنين لإبن الغزالي، ص234؛ تفسير الثعلبي(الكشف والبيان) ج8، ص42؛ المناقب للخوارزمي، ص61؛ مجمع البيان، ج5، ص214، وغيرها.

فهم عليهم السلام رسل الله تعالى بهذا المعنى، وقد أستجمعوا هذه الشرائط من كونهم أهل العصمة؛ لأنها بدونها أو بغير أحدهما يلزم وضع الرسالة أي: التبليغ والإبقاء من قبله سبحانه في غير موضعٍ، وهذا ممتنع على الله تعالى لجهة حكمته البالغة، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [1]، والرسالة في اللغة بمعنى أن يرسل إنسان أو شيء ما للقيام بأمر ما، ويكون قادراً على إنجاز ذلك الأمر، وهي الإخبار عن مراد بكلامه تعالى بدون واسطة البشر.

عندما نزور الأئمة عليهم السلام، ونخاطبهم بهذه الزيارة المباركة ونقول لهم: أنتم موضع الرسالة، ونذكر هذه الخصيصة في تعداد مزاياهم الجليلة، وهي أرقى من المعاني اللغوية والبلاغيّة؛ لأن الإتصاف بـ " بموضع الرسالة" يشير إلى أنهم متصلون بأهل الرسالة، بمعنى أنهم آل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون معنى هذه العبارة أنتم من أهل بيتٍ هو محل للرسالة، وأنتم الحفاظ للدين وحراس الشريعة وما نزل به الوحي، وتبيين وإيضاح الخطوط العريضة للشريعة الإسلاميّة، وبيان حدوده وإجراء أحكامه، وهذا ثابت لكل واحد منفرد منكم هو موضع للرسالة.

نعم، أهل البيت عليهم السلام موضع الرسالة المحمديّة ومحلها، وبهذا وصفوا في روايات السنة والشيعة، وهذا نصٌ من رواياتهم:

أخرج إبن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2] قال: هم أهل بيت طهرهم الله من السوء واختصهم برحمته قال وحدث الضحاك بن مزاحم ان نبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول:" **نحن أهل بيت**

---

(1) سورة الأنعام/الآية:124.

(2) سورة الأحزاب/الآية:33.

طهرهم الله من شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم"[1].

وعن الفضيل بن يسار قال أبو جعفر عليه السلام :"**يا فضيل ما ينقم الناس منا فوالله انا لشجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم**" [2].

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: "**كنت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أختلى بي وأقام عني نساءه فلا يبقي عنده غيري وإذا أتاني للخلوة معي في منزل لم يقم عني فاطمة ولا أحداً من بنيي**"[3]. يعني لم يقم عني فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

فعلى من أراد الرسالة في أصولها الإعتقاديّة وأحكامها التكليفيّة وسائر تشريعاتها وسننها وآدابها، أن يرجع إلى الأئمة الطاهرين ويسألهم ويأخذ منهم ويتبعهم، وهم الحافظون للشريعة، الناهضون بأعبائها، الدعاة إليها والناشرون لها، وهي محفوظة بوجودهم، باقية ببقائهم، لا تفارقهم ولا يفارقونها أبداً، وبالتالي أن الناس في كل عصر من العصور غير مستغنين عن أهل البيت عليهم السلام إطلاقاً، وأنه لا يجوز الرجوع إلى غيرهم كائناً من كان، كما لا يجوز الإكتفاء بما تمليه عليهم عقولهم في فهم الشريعة المقدسة في أُصولها وفروعها، وعلى الجملة، فإنه وإن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو قتل، فإن رسالته باقيّة مستمرة، وموضعها أهل بيته الطيبون الطاهرون، فما أحوج الأمة اليوم بل كل الأمم التي عطلت عقولها، وساء فهمها، وأصبحت تعيش حالة البأس والتيه في دنيا عالم الظلام بسبب إبتعادها عن الموضع والمحل الذي جعله الله تعالى لكل العالمين، وهم محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم الصراط المستقيم فكل شيء

---

(1) السيوطي، الدر المنثور، ج5، ص199.

(2) الصفار، بصائر الدرجات، ص77.

(3) الكليني، الكافي، ج1، ص64.

يخالفهم في قول او فعل او مبدأ، فإنه يكون في خانة الشيطان، وهذا الصراع كان ولا يزال مستمراً جيلاً بعد جيل، وفي كل العصور منذ أن قال الشيطان لله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [1]، فمنذ ذلك اليوم بدأ الصراع، وبدأت صياغة الشخصية الإيمانيّة على يد رسل الله وأوصيائهم عبر التاريخ، وقد فرح الشيطان في مواطن كثيرة، بدأً بمقتل هابيل، وتوالت الأحداث واتسعت رقعة الصراع الإيماني الشيطان حتى قتل الآلاف في معركة الجمل، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وقد قال لهم: " **أصحابي! إن القوم قد استحوذ عليهم الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**"[2] .

ومَوضِعَ الآياتِ والرّسالَة والعِزّ والإباءِ والنَّبالَة

3. مُخْتَلَفَ الْمَلائِكَة

المختلف اسم مكان من الإختلاف، وهو كثرة المجيء والذهاب، ومنه الليل والنهار[3] موضع تردد الملائكة ونزولهم وعروجهم، إمّا لإكتساب العلوم الإلهيّة والمعارف الربانيّة، والأسرار الملكوتيّة من مقامهم السامي وشأنهم العظيم؛ لأنهم أعلم وأفضل من الملائكة، أو أنّ نزول الملائكة كان لأجل أن يتبركوا بهم ويتشرفوا بخدمتهم، ويلتزموا بصحبتهم، وتتنزل الملائكة في الأماكن التي فيها الطهارة والنقاوة والذكر والدعاء وقراءة القرآن الكريم، ولا تتردد الملائكة في الأماكن التي تفقد الطهارة والنقاوة، وإنعدام الاجواء الإيمانيّة، فالبيوت التي يكثر

([1]) سورة الأعراف/الأيتان:16، 17.

([2]) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص516.

(3) القاموس المحيط، ج3، ص136؛ تاج العروس، ج12، ص189.

فيها استماع الغناء ومظاهر الفساد وتربية الكلاب، لا يمكن أن تكون محلاً وموضعاً لعروج الملائكة ونزولهم، بل تكون مثل هذه البيوت مستنقعاً للشياطين وعفاريت الجن وإتباعهم[1]، ولا شك أن أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي والكفر والشرك، ولذا فإن أعظم ما يُهْدَى للملائكة ويرضيهم أن يخلص المرء دينه لربه، ويتجنب كل ما يغضبه. ولذا فإنَّ الملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله تعالى،

أو التي يوجد فها ما يكرهه الله ويبغضه، كالأنصاب والتماثيل والصور، ولا تقرب من تلبس بمعصية كالسكران، وبعبارة ثانية أن دور الملك هو الحضور عند الأجواء الإيمانيّة التي يحبها، ومن هنا أن الكثير من الأمور التي يحبها الملك نجد أن رسول الله ﷺ كان يأمر بها كالعطور والآذان ومجالس العلم، والعمامة والبياض وصلاة الجماعة.. وغيرها من الأمور الظاهريّة التي تحبها الملائكة، كما أن الملائكة لا تحضر في الكثير من الأمور الباطنيّة، فلا تجدهم عند القلوب القاسيّة والمبغضة والحسودة والتي طغت مظاهر الكره فيها، فالقلب الذي فيه شر لا يحضره الملك؛ لأن الشر أشبه ما تكون بفايروسات قاتلة ومميتة للقلب.

ووردت روايات كثيرة بهذا المعنى بنزول الملائكة في بيوتهم الشريفة وبصورة دائمة ومستمرة، وبسبب كثرة عروجهم ونزولهم لم يكن ﷺ يتكيء على الوسادة، ويتساقط شيء من زغبهم فيجمع الأئمة عليهم السلام ذلك ويمسحون به أعين أطفالهم ويعالجونهم من المرض،

---

(2) ذكرنا في كتابنا الموسوم بـ" الصراع الإلهي الشيطاني في نفس الإنسان " أن الملائكة لا تحب الأماكن القذرة، فالبيوت التي تكثر فيها القاذورات والروائح الكريهة تكون بيوت شياطين، ومن هنا من أخلاق الأنبياء النظافة أو التنظف، وهي من جنود العقل:" **النظافة، وضدها القذارة**". ينظر: كتابنا، المحاضرة الثانية والستون، بعنوان" **النظافة والقذارة**"، ص473. 481.

كما عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام، فأحتبست في الدار ساعة، ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً وادخل يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقطه أيّ شيء هو؟ فقال الإمام عليه السلام:" **فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا دخلونا، نجعله سيحاً لأولادنا"، فقلت: فجعلت فداك وإنهم ليأتونكم؟ فقال الإمام عليه السلام: يا أبا حمزة إنهم ليزاحمونا على تُكأتنا**"[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام لأبي سيار. مسمع كردين البصري .:" **يا أبا سيّار! إنك تأكل طعام قوم صالحين، تصافحهم الملائكة على فرشهم**"، قال: قلت: ويظهرون لكم؟، قال:" فمسح يده على بعض صبيانه، فقال: **هم ألطف بصبياننا منّا بهم**"[2].

وعن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلوات الله عليهم، وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين وفي قعر بيوتهم قُرجة مكشوفة إلى العرش، معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً، وفي كل ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد... فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن، ومعارج الملائكة والروح فوج بعد فوج لا إنقطاع لهم، وما من بيت من بيوت الأئمة منّا إلا وفيه معراج الملائكة لقول الله:** ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [3]، قال: قلت: من كل أمر؟، قال: **بكل**

---

(1) بصائر الدرجات، ص26؛ الكافي، ج1، ص394؛ بحار الأنوار، ج26، ص353. وتكأة: بالضم هي ما يعتمد عليه حين الجلوس.

(2) الكافي، ج1، ص393.

(3) سورة القدر/ الآية:4 و5.

أمر، قلت: هذا التنزيل؟ قال: **نعم**"[1]، وعن أبي الحسن يقول: "**ما من ملك يهبطه الله تعالى في امرٍ إلا بدأ بالإمام فيعرض ذلك عليه**.."[2]، ومن هنا كان الأئمة عليهم السلام أبواب الفيض الإلهي.

ومن هنا يعلم أن الملائكة كانوا باستمرار ينقلون لهم أخبار السماء عن الله تعالى، ويحدثونهم، ويطلعونهم بالعلوم الغيبيّة؛ لأن الأئمة عليهم السلام، كانوا محدثين كما ورد في كثير من الأخبار قالوا: نحن المحدثون[3]، بمعنى نحن من الذين ينزل علينا الملائكة من الله عز وجل بالأحاديث والعلوم الجديدة، ونحن وسائط معرفة الله تعالى، ويقال المحدَّث هو الذي يسمع صوت الملائكة ولا يراه، والأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، وقد صنفت في الكتب الحديثيّة بعناوين عديدة، منها: نزول الملائكة على السيدة الزهراء عليها السلام، ومنها: نزول الملائكة على الأئمة، ومنها: نزول الملائكة إلى قبر النبي والأئمة عليهم السلام، ونزولها في ليلة القدر، ومن أراد المزيد فلينظر إلى ما أشرنا إليه في الهامش[4].

وقُلْ أيا **مُخْتَلَفَ المَلائِكَة** **ومَهْبِطَ الوحي** إنْ أتى مَسالِكَه

---

(1) بحار الأنوار، ج25، ص97.

(2) الكافي، ج1، ص394.

(3) الصدوق، الخصال، ج2، ص380؛ بصائر الدرجات، ص93؛ أمالي إبن الشيخ، ص154؛ بحار الأنوار، ج36، ص85.66.

(4) الكافي، ج1، ص241؛ بصائر الدرجات، ص109؛ تفسير البرهان، ج8، ص341؛ تفسير القمي، ج2، ص431؛ مصباح المتهجد، ص719، وفيه إشارة إلى السلام على الملائكة المقيمين والمحدقين في مقام الإمام الحسين عليه السلام، وعن أبي الحسن عليه السلام قال: "**ما من ملك يهبطه الله في أمر ما يهبطه إلا بدأ بالإمام، فعرض ذلك عليه، وإن مختلف الملائكة من عند الله إلى صاحب هذا الامر**". الكافي، ج1، ص393.

4. وَمَهْبِطَ الْوَحْي

المهبط اسم مكان للهبوط بمعنى المحل، والوحي الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي[1]، وكلما ألقيته إلى غيرك، وأصل الوحي في لغة العرب إعلام في خفاء ولذلك يسمى الإلهام وحياً، والمراد من أنهم عليهم السلام مهبط الوحي أي: هبوط الوحي بواسطة جدهم؛ لأنهم الحافظون لما نزل به الوحي، ولا يمكن هبوطه إلا إليكم؛ لعدم قابلية غيركم؛ لأن يكون مهبطاً له، وباعتبار تحديث الملائكة لهم، كالمغيبات من قبيل الأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة المتعلقة بالنفوس، وليلة القدر، ففي بيوتهم نزل الوحي، ومن عندهم خرج نور العلم والمعرفة، فيكون المراد من هبوط الوحي هو إرتباط الملائكة بهم ومجيؤهم إليهم وإعلامهم بحقائق الدين وأسرار الشريعة والعلوم والمعارف الإلهيّة وبغيرها من الأُمور.

إن قلب الإنسان المؤمن هو الصفحة الصالحة لأن تنتقش فيه العلوم والمعارف، فهي كمرآة مستعدة لأن تتجلى فيها الحقائق الواقعيّة، بينما بعض أصحاب النفوس الخالية، والقلوب الضعيفة التي تلوثت بالمعاصي والذنوب والموبقات تكون في حالة إعراض دائمة عن تلقي المعارف والفضائل والكمالات الأخلاقيّة، فعندما يقترب الإنسان من هذا المحل والموضع الذي هو مهبطاً للوحي فإن قلبه يكون له حصة من الإلهامات الخفيّة والألطاف الإلهيّة، ويكون موفقاً في دنياه وآخرته، مقبلاً على الله تعالى، يأتي بالأعمال الصالحة ويؤدي الواجبات، ويكون مُبتعداً عن الأعمال الطالحة، ومنتهٍ عن المحرمات، فالمؤمن عندما يُسرج في قلبه قنديل الإيمان والوعي والتديّن، ويُلبس ظاهره بُرْدَةَ الرصانة والريادة والاتّزان، يصبح زهرة فوّاحة تجذب بعطرها وسحر مظهرها كلَّ باحث عن الجمال والوقار، لكنّها إذا ما زُرعت في غير

(1) القاموس المحيط، ج4، ص399 . الوحي.

موضعها، تذبل ويقلّ روّادها، ويعرض عنها ذوو الذوق الرفيع، وكذلك المؤمن إذا ما وضع نفسه حيث لا يليق به فقد أبتعد عن دوره الذي لا بد أن يؤديه ومن هنا يكون المؤمن ملهماً وسوف يكلمه الله تعالى في ذات عقله، وقد دلّت الأخبار على هذا المعنى، والتي منها: قال أمير المؤمنين عليه السلام :" **وما برح لله جلت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات رجال ناجاهم في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور اليقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة**"[1].

ومن هنا على الفرد والأسرة والمجتمع أن لا يسيروا بطريق الهبوط والنزول من مراتب الأخلاق والقيم والتعاليم التي جاء بها الأنبياء والمرسلين، والأئمة الأوصياء عليهم السلام كما هبط إبليس اللعين من ساحة القدس الإلهي، وينتبه الإنسان إلى تلك العوامل التي يناجيه الله تعالى من خلالها ألا وهي الفكر والعقل والقلب، فالكثير من الإيحاءات التي يحصل عليها الإنسان المؤمن من خلال هذه المنافذ التي تكون مفتوحة عند أهل الطاعة والقرب الإلهي، ولهذه الجهة أن الله تعالى يناجي الإنسان كما كان يناجي نبيه موسى عليه السلام، ولكن بمراتب مختلفة، وكل بحسبه وبقدره، ومقدار سعة فكره وعقله وقلبه، ومن هنا كان قلب المؤمن ملهم.

الوحي المذكور في هذه الفقرة من الزيارة قد يراد به الوحي التشريعي، الذي لا ينزل إلا على الرسل والأنبياء، وبما أنّ أهل البيت عليهم السلام بمنزلة نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي دلت عليه

(1) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج2، ص211.

الآية الكريمة: ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ [1]، فبيتهم أيضاً سيكون مهبطاً ومستقراً للوحي التشريعي[2].

وفي كلام للإمام الحسين عليه السلام لرجل كوفي التقاه في طريقه إلى العراق، إشارة إلى هذا القسم من الوحي، فعن الحكم بن عتيبة قال: لقي رجل الحسين بن علي بالثعلبيّة وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلم عليه، فقال له الحسين عليه السلام: **من أي البلاد أنت؟** قال: من أهل الكوفة، قال: "**أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل عليه السلام من دارنا ونزوله بالوحي على جدي**"[3]، وفي حديث آخر:" **ونحن أهل بيته وذريته في منازلنا نزل الوحي**" [4].

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام:" **إن الملائكة يطوفون بنا فيها**"[5] أي: في ليلة القدر، فبنزول هذا العدد الغفير من الملائكة على الأئمة المعصومين عليهم السلام وتنزّلهم عليهم بالعلوم الجمّة، يكونون بلا ريب هم " **مهبط الوحي**".

---

(1) سورة آل عمران/الآية: 61.

(2) يقول الشيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي:" وقد يراد به الأعم من الوحي التشريعي، فيشمل الوحي التسديدي؛ والمقصود من الوحي التسديدي هو الوحي النازل على الأئمة عليهم السلام للأوامر المستقبليّة، أو لأجل الطمأنينة والسكينة وبما يسددّهم، وليس لأجل أحكام الشريعة العامّة. بل بالإخبار عن الغيب، وشبه ذلك، وهذا الوحي ينزل على المعصومين كلهم، وليس مختصاً بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم". ينظر: الآملي، عبد الله، أدب فناء المقربين شرح زيارة الجامعة الكبيرة، ج1، ص121.

(3) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج6، ص 424.

(4) المفيد، كتاب الأمالي، ص ص71.

(5) نور الثقلين، ج5، ص639.

كما أن شهود الأئمة لأعمال العباد وحي وإخبار غيبي لهم؛ لأن عرض الأعمال عليهم إن كان بواسطة الملائكة الكرام الكاتبين بكتابة الأعمال أو بواسطة ملائكة غيرهم؛ فهو نوع من الوحي، ومن هنا كانوا عليهم السلام محدثون تهبط إليهم الملائكة وتحدثهم، فعن محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: "**الأئمة علماء صادقون مفهّمون محدّثون**"[1].

ومما يدل على عدم انحصار الوحي بالأنبياء، قول تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [2]، ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [3]، ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [4].

والمأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: " **إنّ علمنا غابر ومزبور ونكث في القلوب ونقر في الأسماع**، ثم فقال عليه السلام: " **أما الغابر مما تقدم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا وأما النكث في القلوب فالهام، وأما النقر في الأسماع فامر الملك**"[5].

5. مَعْدِنَ الرَّحْمَة

المعدن هو محل إستقرار الجواهر وإفاضتها، ويصدق المعدن على الشيء الثمين الذي يدفع العقلاء بإزائه المال لكي يحصلوا عليه، كما أنه يصدق المعدن على المكان المستور

---

(1) الكافي، ج1، ص271.

(2) سورة القصص/الآية: 7.

(3) سورة مريم/الآية: 11.

(4) سورة النحل/الآية:68.

(5) بصائر الدرجات، ص94.

المخفي الذي يحتاج إلى بذل الجهد والعناء في تحصيله وحيازته، ومن هنا الناس معادن كمعان الذهب والفضة، أي: إن حقائق الناس وبواطنهم مختلفة، كما تختلف المعادن في حقيقتها أو في قيمتها ونفاستها.

والرَّحمة هي الإحسان والإنعام والإفضال على الغير [1]، وقيل: هي الرقة[2] والرأفة واللطف والعطف والحب والشفقة، والتحنن والمواساة، وأمثال ذلك، ولعل هذه المعاني مقدمات تسبق الرَّحمة تسبق الرحمة؛ لأن المرء حينما يشاهد مشهداً مؤلماً ومروعاً يتأثر به، وعلى إثر هذا التأثير النفسي يبدي التعاطف والرأفة، ويبذل للمصاب المتألم المواساة والعون، هذه المواساة والعون تسمى"الرحمة".

ويمكن أن يقال أن المراد بأنهم مظاهر رحمة الله تعالى، إذ رحمتهم للخلق وشفقتهم على أُمة جدّهم سيما محبيهم وشيعتهم قد بلغت الغاية، وتجاوزت النهاية، فكانوا معادن الرحمة، وقد بعث النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعباد، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [3]، وكان رسول الله موصوفاً بالرَّحمة والرأفة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [4].

---

(1) الإصفهاني، المفردات، ص191.

([2]) لا تضاف إلى الله تعالى الرقة؛ كونها من صفات الإنسان الذي يحمل الإنفعالات النفسيّة والله تعالى منزه عنها، ويبقى معنى الرحمة هو البذل والتفضل والعطف والإحسان.

(1) سورة الأنبياء/الآية:107.

(2) سورة التوبة/الآية:128.

ومن يراجع سيرة آل البيت عليهم السلام يجد انهم منبع الرَّحمة والرأفة، وأصلها فيهم، وهي الصفة البارزة في سلسلة أدوراهم عبر التاريخ، ولذا كانوا يسعدون الخلق، ويصلحون أمور معايشهم، وفي الزيارة: "**أنتم أهل بيت الرَّحمة**"[1].

إن جميع النعم الإلهيّة سواء كانت معنويّة أو ماديّة، ظاهريّة أو باطنيّة كلها هي رحمة الله تعالى فهم معادن هذه الرَّحمة ومن ينشد الرَّحمة يلجأ إليهم فيغمروه بها؛ لأنها بجميع أقسامها وأنواعها ومراتبها مستقرة وكامنة عندهم، وإن كل رحمة تصيب أحداً من العالمين، فإنما هي بواسطة الإمام وببركة وجوده، لأن الإمام في كل زمان، واليوم نحن تغمرنا رحمة الإمام المهدي عليه السلام الذي سوف ينشر لواء الخير والبركة والرَّحمة الإلهيّة فهو مركز الفيض في نزول الرحمات والبركات من الأرزاق وسائر الخيرات.

ولا شك أن الإنسان تكويناً يحب الرَّحمة والإنسان الرحيم، وبفطرته يكره القاسي وعديم الرَّحمة، فإذا رفعت الرّحمة عند الحاكم وأصبح حاكماً جائراً فإنه تختل جميع الموازين الإجتماعيّة، فإن كان رحيماً فإنه سوف يصنع أمة كاملة رحيمة، وتنتقل هذه الرَّحمة إلى الزوج فيكون رحيماً مع زوجه، وكذا العكس، وسوف تعمر المجتمعات الإنسانيّة بالرَّحمة، فالحكام يصلحون دنيا النَّاس، بتدبير أمورهم وإصلاح شؤونهم.

أئمة أهل البيت عليهم السلام مظاهر تامة لرحمة الله الواسعة، فهم ينابيع الرحمة والمحبة؛ وتفيض في بيوتهم ومنها تجري إلى سواهم، ومن مدرستهم يجب أن تتعلم الأجيال دروس الرحمة والعطف والصفح والمحبة؛ لأن إحسان وكرم الناس لبعضهم البعض مقرون عادة بتوقع الرد بالمثل والشكر و... لكن رحمة أهل البيت عليهم السلام وتفضلهم خالص لله تعالى، وغير مقرون بانتظار المثل والشكر والعرفان من أي أحد، فكما أن الله سبحانه برأ برحمته الواسعة

---

(1) الطوسي، مصباح المتهجد، ص744، زيارة أمير المؤمنين عليه السلام.

الموجودات وأمدها بحاجياتها، ولا ينتظر من أحد جزاء ولا شكوراً، كذلك هم آل محمد عليهم السلام؛ لأنهم مظاهر رحمة الله الواسعة، يقضون الحوائج الماديّة والمعنويّة لمخلوقاته، ولا يبتغون من أحد جزاءً شخصياً؛ فشعارهم في الرسالة هو: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [1]، ولذا ورد أنهم رحمة الله الواسعة، وباب نجاة الأمة، وهم معدن الرحمة، والله تعالى هو عين الرحمة، وفي دعاء كميل:" اللهم إني أسالك برحمتك التي وسعت كل شيء".

ومَعْدِنَ الرَّحمَةِ ثُمَّ المَغْفِرَة يا مالِكينَ العَفوَ عِنْدَ المقْدِرَة

6. وَخُزّانَ الْعِلْمِ

الخزن: خزن الشيء فلان يخزنه خزناً إذا أحرزه في خزانة، واختزنته لنفسي، وخِزانتي قلبي، والخِزانة عمل الخازن[2]، وحفظ الشيء في الخزانة، ثم يعبَّر به عن كل حفظ كالسر ونحوه... والخزَّان: جمع الخازن[3].

إن ما يدخر في الخزانة ربما لا يناله الآخرون، لأنها تحت سيطرة الخازن، وخارجة عن تصرف غيره، ولو نال الآخرون من الخزنة شيئاً فبإذن الخازن وتصرفه إن شاء منح وإن شاء منع.

ورد عنهم عليهم السلام:" **نحن خزان العلم ونحن أهل بيت النبي** صلى الله عليه وآله وسلم ".

([1]) سورة الإنسان/الآية:9.

([2]) الفراهيدي، الخليل، كتاب العين.

([3]) المفردات في غريب القرآن، ص146.

والعلوم على قسمين:

الأول: العلوم الدينيّة، وهي العلوم التي موضوعها الكتاب والسنة النبويّة.

الثاني: العلوم الدنيويّة.

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم العلم علمان: "**علم الأبدان وعلم الأديان**[1]".

إن وصفهم بخزان العلم إشارة إلى أنهم عليهم السلام عندهم جميع العلوم بمختلف أصنافها، والعلم هو اليقين[2].

وقد ورد في النصوص عنهم عليهم السلام أنهم" **خزنة علم الله**[3]" فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام:" **والله إنا لخزّان الله في سمائه وأرضه، لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمه**"[4].

وعنه عليه السلام:" **نحن خزان علم، نحن تراجمة وحي الله، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض**"[5].

([1]) الفناري، محمد بن حمزة، مصباح الأنس بين المعقول والمشهود، ص12.

([2]) المصباح المنير، ص168.

([3]) هناك جملة من الأخبار دلّت على أن علم الله تعالى مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وهو خاص به تعالى، وهناك علوم أخروى قد علمت بها الملائكة والرسل والأنبياء والأوصياء، فقد روى الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام: " **العلم علمان، علم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ورسله، وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويثبت مايشاء**". ينظر: الكافي، ج1، ص147.

([4]) بصائر الدرجات، ص1013؛ الكافي، ج1، 192؛ بحار الأنوار، ج26، ص105.

([5]) الكافي، ج1، ص192.

وفي حديث عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: " **نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله**"[1].

وعن الصادق عليه السلام:" **إن الله واحد متوحّد بالوحدانيّة متفرد بأمره، فخلق خلقاً فقدرهم لذلك الأمر، فنحن هم، فنحن حجج الله في عباده وخزّنه على علمه والقائمون بذلك**"[2].

وعنه عليه السلام:" **إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، فجعلنا خزّنه في سماواته وأرضه، ولولانا ما عرف الله**"[3].

فعندهم خزائن العلوم الإلهيّة، وقد أحاطوا بأسرارها الربانيّة ومعارفها الحقة، وكل ما ورد في الكتب السماويّة ومواريث الأنبياء من رموز حقائقها فهو موجود عندهم ومخزون لديهم، فصدورهم صندوق علم الله، كما أنهم خزان علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجميع الحقائق القرآنيّة والعلوم التي أودعها رسول الله في قلب علي بن أبي طالب عليه السلام، قد ورثها الأئمة الأطهار عليهم السلام.

كما أنهم عليهم السلام عندهم علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وهو مطلق وشامل لجميع العلوم الشرعيّة والتكوينيّة، فجميع ما في الكون من الخفايا والأسرار والرموز عندهم وفي خزانتهم، وهذه الخزينة في طول خزانة الله تعالى لا في عرضه وليس مستقلة عن تلك الخزانة، وإن لكل شيء خزينة، وقد جاء في كتاب الله العزيز:﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [4].

([1]) الكافي، ج1، ص192.

([2]) بصائر الدرجات، ص104؛ الكافي، ج1، ص193.

([3]) بصائر الدرجات، ص105.

([4]) سورة الحجر/الآية: 21.

قال الإمام الصادق عليه السلام:" **إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة**"[1].

فهم خزان علم الله تعالى وبأيديهم المفاتيح وقلوبهم أوعية لمشيئة الله تعالى بهذا المعنى.

فهم الراسخون في العلم، العاملون بتأويل كتاب الله عجل، وقد أُوتوا فصل الخطاب، وقد روى أبو بصير عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:" **نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله**"[2].

وعن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: **أما بعد، فان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين الله في خلقه فلما قبض صلى الله عليه وآله وسلم كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب، ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الايمان، وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الاسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن الذين شرع الله لنا دينه فقال في كتابه:** " ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ **وقد وصانا بما وصى به نوحاً** ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ **يا محمد** ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ **فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة اولي العزم من الرسل** ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ **يا آل محمد** ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ **وكونوا على جماعة** ﴿

([1]) الكافي، ج1، ص240.

([2]) الكافي، ج1، ص213.

كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴾ **من أشرك بولاية علي** ﴿ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ **من ولاية علي** ﴿ إن الله ﴾ **يا محمد** ﴿ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ "**من يجيبك إلى ولاية علي** عليه السلام [1].

فكلما يرتبط طالب العلم بخزان العلم وحملته أكثر فإنه يحصل على إشعاعات نورانية محمديّة، فتحصل لديهم نشوة العلاقة بآل البيت عليهم السلام، ويكون طالباً حقيقياً للعلوم المعارف، فيبتعد عن الشبهات فضلاً عن المحرمات، وهذه الإشعاعات محلها القلب والعقل، ومن هنا يكون طالب العلم يخاف من أي فعلٍ من الأفعال، او قولٍ من الأقوال يمكن ان يكون حاجباً وساتراً عن نزول تلك الإشعاعات، وبل وحتى النية تكون حجاباً مانعاً من تلقيها.

وقُلْ أيا **خُزّانَ** سِرّهِ الَخَفِي والعِلْم مَنْ يطَلُبُهُ بِكُمْ كُفِي

7. مُنْتَهَى الْحِلْم

المراد من "المنتهى" هو موضع الإنتهاء والغاية التي ليس وراءها ذكر، أي محل نهاية الحلم، ولهذا يقال لنهاية كل :"**منتهى**". والحلم في اللغة هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب[2]، وترك الإعجال بالعقوبة، وترك الطيش[3]، وهي من الصفات النفسانيّة الكريمة، ومن مكارم الاخلاق، وثمرة الإعتدال، وهي من جنود العقل، وهي القوة التي تلجم الغضب، كما أن هذه الفقرة لها إرتباط وثيق بالسابقة حيث أنهم عليهم السلام خزان العلم، " **ولن يثمر العلم حتى**

([1]) الكافي، ج1، ص224.

([2]) الإصفهاني، المفردات، ص129.

([3]) مجمل اللغة، ج2، ص246؛ الفروق اللغوية، ص198.

يقارنه الحلم"[1]، وأن " **العلم أصل الحلم**"[2]، و"**الحلم زينة العلم**"[3]، و" **وأنه ركن العلم**"[4]، والإمام الهادي عليه السلام منهجه منهج قرآني، فقد استعمل الحلم بعد العلم، بل هو القرآن الناطق، وهو ترجمان الوحي الإلهي: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [5]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [6]، ومن كان الحلم على حسب الترتيب الطبيعي فرع للعلم، فلو لم يكن الشخص عالماً لا يمكن أن يكون حليماً، فالحلم كاشفٌ عن علم صاحبه؛ لأن غير العالم أقرب إلى ذوي العقول، ولأن بالعلم يقوى العقل وبعدمه يكون فاقداً للحلم، فكلما كان العلم أوسع كان سعة الحلم على سعة العلم.

ومعنى هذه الفقرة هو أن الأئمة قد وصلوا إلى نهاية وآخر درجة من درجات عليهم السلام؛ لأن الناس متفاوتون في هذه الصفة كغيرها من الصفات، لكن الأئمة قد حازوا أسمى تلك الدرجات وأعلاها، فلا يدانيهم أحدٌ في هذه الصفة الكريمة، كما أن آل محمد عليهم السلام هم الأُسوة في الحلم، منهم تعلّم الناس هذه الصفة وبهم اقتدوا فيها، فهم معين الحلم ومنبعه وإليهم ينتهي وهم الأصل له كما في الصفات الأخرى والكمالات العليا... وإن من تحلّى بهذه الصفة فقد استقاها منهم عليهم السلام.

إن من يتحمل النوائب التي ترد على الإنسان، والتي من طبيعتها إثارة غضبه، فيضبط نفسه، ولا يفعل ولا يقول شيئاً منافياً للأخلاق الفاضلة.. يوصف بـ"**الحلم**".

فإنهم عليهم السلام منتهى غاية الحلم، بل كمال الصبر وكظم الغيظ.

([1]) شرح غرر الحكم، ج5، ص63.

([2]) شرح غرر الحكم، ج1، ص249.

([3]) شرح غرر الحكم، ج1، ص63.

([4]) بحار الأنوار، ج68، ص414.

([5]) سورة النساء/الآية: 12.

([6]) سورة الحج/الآية:59.

وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام، بل إنهم قد بلغوا في هذا الوصف منتهاه؛ لأن الذي لاقوه من الأذى والمصيبة لم يلقه أحدٌ من هذه الأمة، فكانوا غاية الحلم والصبر والتحمل، وهذا ما نراه واضحاً في معاملتهم مع الأعداء، فضلاً عن الأخلاء، حتى أُشتهر ذلك عنهم، وذاع بين القاصي والداني، ولذلك هم القدوة والأسوة في هذه الصفات ولا مثيل لهم في ذلك.

فقد رويَّ أن شامياً رآى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام راكباً فجعل يلعنه والإمام الحسن المجتبى عليه السلام لا يرده، فلما فرغ أقبل الإمام فسلّم وصبره وضحك بوجهه فقال: " **أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا، وكنت ضيفناً إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً** .

فلما سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم[1].

وروى المدائني عن جويرية بن أسماء قال: لما مات الحسن عليه السلام، أخرجوا جنازته، فحمل ممروان بن الحكم سريره، فقال له الحسين عليه السلام:" **تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرّعه الغيظ؟**" قال مروان: نعم، كنت أفعل بمن يوزان حلمه الجبال[2].

([1]) الإربلي، كشف الغمة، ج2، ص135؛ بحار الأنوار، ج43، ص344.

([2]) بحار الأنور، ج44، ص145.146.

والإمام الحسين عليه السلام لاقى ما لاقى من معاوية فحلم وتحمل... وحلم الإمام السجاد عليه السلام وصبره على المصائب التي أصابته والأسر الذي وقع فيه لا يوصف، وكذلك سائر الأئمة عليهم السلام.

والأخبار عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في الحلم لا تحصى كثرة، ومن أحب مراجعتها يجدها في كتاب الكافي الشريف باب الحلم.

ومن جهة أُخرى قد يتوهم البعض أنه حليماً في بعض الأحيان، ولكنه في الحقيقة هو عاجز عن أمضاء العقوبة، بل هو ضعيف وذليل ويعيش الهوان في ذاته، ولا يكون الحلم حلماً إلا إن كان عن قدرة على إمضاء العقوبة يتركها المرء سماحة ورضىً، إما إن كان عجزاً عن إمضاء العقوبة فهو ضعف وهوان، ولا قيمة له، ولا يصير الذل جزءاً من نفس امرئ إلا ببعده عن الطاعة؛ لأن المؤمن الحقيقي لا يخشى إلا الله وحده.

كما بحثنا عناوين أُخرى كآفة الحلم والذل، وتعريف الحلم، وما جاء الحلم، والحليم الحقيقي، وبينا في العنوان الأخير أن الحليم الحقيقي هو الله تعالى، فقد وصف نفسه في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم، قرن فيها المغفرة بالحلم، وقد قرن سبحان وتعالى أيضاً الغنى بالحلم في موضع واحد.

قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[1].

والحليم في صفة الله عز وجل معناه الذي لا يستحقه عصيان العصاة ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً وأجلاً قدرَّه له، ولو شاء سبحانه أن يعاقب العباد على أعمالهم في الحياة الدنيا لما ترك على ظهر الأرض منهم أحداً، وهو سبحانه يمهل ويؤجل العقوبة للعصاة إلى يوم هم بالغوه لا مفر لهم منه، وعلى هذه الصفة يكون الحلم، فالله عز وجل قادرٌ

([1]) سورة البقرة/الآية:263.

على معاقبة العاصي ولكنه يحلم عنه ويعطيه المهلة تلو المهلة وهو أعلم به، فمن غلب عليه الإيمان تاب وأصلح فعفا عنه، ومن غلب عليه الكفر والعصيان زاد عقابه واستحق العذاب العظيم ويأخذه الله أخذ عزيز مقتدر إما في الدينا بتقديره ليكون عبرة لغيره وموعظة للمؤمنين، أو يمهله إلى يوم القيامة مع ما يلقاه في الدنيا من ضربات لا يتعظ بها[1].

وقد أشاد الله سبحانه وتعالى بخليله عليه السلام الذي وصفه الله تعالى بالحلم في كتابه الكريم لما يتصف به من هذا الخلق العظيم: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [3].

كل إنسان في هذه الدنيا وخصوصاً المؤمن يوجد حوله منظومة ضخمة من العلاقات، ودائرة واسعة وكبيرة، والتي أهمها الأسرة، والأقارب والأصدقاء...فحتى يكون الإنسان ناجحاً في هذه الدائرة كدائرة الزوجة والأولاد والأقارب والأصدقاء عليه أن يكون حليماً في هذه الدائرة الإجتماعيّة، بل حتى مع الأعداء الحلم يحتاجه الإنسان، فمن نفذها بصبرٍ جميلٍ وحلمٍ واسع كان شخصيّة ناجحة، ومن يطلب الحلم عليه أن يطلبه عند من كانوا أصله ومنتهاه وهم آل محمد عليهم السلام.

ومُنْتَهى الحِلمِ أيا كُماةُ والذَّادَةُ الأئِمَّةُ السُّراةُ

8. أُصُولَ الْكَرَم

([1]) سورة التوبة/الآية:114.

([2]) سورة هود/الآية:75.

([3]) سورة التوبة/الآية: 114.

الأصول جمع "أصل" وهو "ما يُبنى عليه غيره"، كالأساس، والجذر وأصل أي شيء كان هو ما به قوامه وثباته، فالجدار . مثلاً. لا يقوم ولا يقاوم بدون أساس، والشجرة بدون أساسها وجذورها لا تصمد أمام الريح والأعاصير، فضلاً عن فقدانها لقناة التغذي والإنتفاع من التربة، وفلان وفلان من اصل واحد، أي: يرجعان إلى جدٍ واحد ونسب واحد، وأصل هذا النهر هو المحل الفلاني، أي: منبعه، والكرم سخاء النفس بما تحب، وهو صفة لكل ما يُرضى ويحمد ويحسن، ولذلك يعبر عن الصفات الحسنة جميعها بمكارم الأخلاق، وكرم الشيء كرماً نَفُسَ وعزّ، فهو كريم والجمع كرام... وكرائم الأموال: نفائسها وخيارها...[1]، وضده اللؤم والكرم من جنود العقل، فيكونون هم عليهم السلام مباني للكرم، والكرم كفرعٍ مبتنٍ عليهم، فإذا وصف الله تعالى بالكرم، فهو اسمٌ لإحسانه وإنعامه، وإذا وصف به الإنسان، فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه[2]، فعندما نزورهم بقولنا أنتم أصول الكرم أي أنتم ينابيعه ومفاتيحه[3]، ولأنهم الواسطة في إفاضة خيرات وبركات الوجود كافة، الماديّة والمعنويّة:"بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيب، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.."[4]، وما كرمت الملائكة الذين هم: ﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [5]، إلا لتعلمهم من تلك الذوات المقدسة، بل الأنبياء، بل وكل من سوى الله تعالى هم متعلّمون لديهم، قال الإمام علي عليه السلام في بعض خطبه:" إنا آل محمد كنا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله

([1]) الفيومي، المصباح المنير، ص531.

([2]) المفردات، ص428.

([3]) ورد في حديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام:" نحن ليوث الوغى....ومفاتيح الكرم". بحار الأنوار، ج26، ص264.

([4]) سوف يأتي الحديث عن هذه الفقرة 273 من زيارة الجامعة الكبيرة.

([5]) سورة الأنبياء/الآية:26و27.

بالتسبيح فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، ثم أهبطنا إلى الأرض فأمرنا الله بالتسبيح فسبحنا فسبحت أهل الأرض بتسبيحنا، فإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون"[1].

فكونهم أصول كرائم الأخلاق والأفعال وأصالة كرمهم وتفوّقهم في هذا الجود كما تلاحظه في سيرتهم الحسنة، وكلّ واحد من أهل البيت عليهم السلام كان جواداً معطاءً كما تلمسه في أدوار حياتهم الكريمة، فقد تجسدت في موارد كثيرة، منها إعطاؤهم المال إلى الفقراء ذوي العيال.

فقد ورد في كرم أمير المؤمنين عليه السلام أنه جاءه أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين إني مأخوذ بثلاث علل: علة النفس وعلة الفقر وعلة الجهل، فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: "**يا أخا العرب علة النفس تعرض على الطبيب، وعلة الجهل تعرض على العالم، وعلة الفقر تعرض على الكريم**"، فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين أنت الكريم وأنت العالم وأنت الطبيب، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم، وقال: "**تنفق ألفاً بعلة النفس وألفاً بعلة الجهل وألفاً بعلة الفقر**"[2].

وفي حديث المناقب أنه وفد اعرابي المدينة، فسأل عن أكرم الناس بها، فدل على الحسين عليه السلام، فدخل المسجد فوجده مصلياً، فوقف بإزائه وأنشأ:

لم يخب الآن من رجاك ومن حرك من دون بابك الحلقه
أنت جـــــواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتــل الفسقه
لـولا الذي كان مــن أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقه

([1]) بحار الأنوار، ج24، ص88.

([2]) جامع الأخبار، ص158؛ بحار الأنوار، ج41، ص43.

قال: فسلم الحسين عليه السلام، وقال: " **يا قنبر، هل بقي من مال الحجاز شيء؟** " قال: نعم أربعة آلاف دينار، فقال:" **هاتها، قد جاءها من هو أحق بها منا**" ثم نزع برديه ولف الدنانير فيها، وأخرج يده من شق الباب حياء من الأعرابي، وأنشأ:

خذها فإنـــي إليـك معتــذر واعلم بأني عليك ذو شفقه

لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفقه

لكـن ريـب الزمـان ذو غيــر والكـف منــي قليـلة النفقه

قال: فأخذها الأعرابي وبكى، فقال له:" **لعلك استقللت**" قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك؟ وهو المروي عن الحسن بن علي عليهما السلام [1].

ونقل في كرم الإمام الحسين عليه السلام أنه جاءه رجل من الأنصار يرد أن يسأله حاجة، فقال عليه السلام:" **يا أخا الأنصار صن وجهك عن بذلة المسألة وارفع حاجتك في رقعة فإني آت فيها ما سارك إن شاء الله**"، فكتب: يا أبا عبد الله إن لفلان على خمسمائة دينار وقد ألح بي فكلمه ينظرني إلى ميسرة، فلما قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار وقال عليه السلام له: "**أما خمسمائة فاقض بها دينك وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروة، أو حسب، فأما ذو الدين فيصون دينه. وأما ذو المروة فإنه يستحيي لمروته. وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك**"[2].

وهكذا كان لكل واحد من الأئمة عليهم السلام باع كبير في الجود والكرم أكبر من أن يوصف.

وقُلْ أيا **أصولَ** أغصانِ الكَرَمْ **وقادَةَ** الدّينِ لَدى هذي الأمَمْ

([1]) النوري، مستدرك الوسائل، ج7، ص237.

([2]) الحراني، تحف العقول، ص247.

9. قادَةَ الأمَم

القادة جمع القائد، وهو الأمير والرئيس ومن يقود ومن الجند رئيسهم، ويقال: قوّاد أهل الجنة أي الذين يسبقونهم ويجرّونهم إلى الجنة، من قاد الرجل الفرس، والقود: أن يكون الرجل أمام الدابّة آخذاً بقيادها، كما أن القود نقيض السوق أي: أن يكون الرجل خلف الدابة، ومن الخيل والحمير والبغل سائسها، والأمم جمع الأُمة، بمعنى الخلق، والمراد منها: أمم الأنبياء بما فيهم أُمة الإسلام، أو أن المراد: الخلق كلهم[1]، وأمة كل نبي أتباعه، ويطلق على الجماعة أيضاً، بل يطلق على الشخص الواحد الجامع للخير المتتدى للناس، ومنه قوله عزّ إسمه: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [2].

فإنهم عليهم السلام قادة الطوائف والفرق المختلفة من العرب والعجم وغيرهم، وإنهم الوسيلة في دار الدنيا لمعرفة الله تعالى وإطاعة أوامره سبحانه بأنوار هدايتهم، وبشفاعتهم ينال المؤمن في يوم القيامة الدرجات العالية في الجنة، أو أنهم قادة الأمم الماضية في الدنيا والآخرة بالشفاعة الكبرى، والوسيلة العظمى، بل في الدنيا لأن الأنبياء عليهم السلام وأُممهم قد أهتدوا بالتوسل بأنوارهم المقدسة، وبأشباحهم المعظمة، فهم يقودون الناس بدعائهم وتعريفهم وأمرهم وترغيبهم إلى المعرفة والدين، فمن استجاب لهم اهتدى إلى الله عزّ وجلّ ونجى ونال سعادة الدارين، ومن لم يستجب ولم يجعلهم قدوة وقادة له وتخلف عنهم فقد هلك وكان للشيطان فيه نصيب الوافر،

([1]) الفراهيدي، كتاب العين، مادة "قود"؛ مجمع البحرين، ج3، ص133؛ ج6، ص12؛ لسان العرب، ج3، ص370؛ المصباح المنير، ص518.

([2]) سورة النحل/الآية:120.

ومن هنا ورد من "**أتاكم نجى ومن لم يأتكم هلك**"[1]، فهم قادة جميع الخلائق في كل العوالم والنشئات، وبهم المعرفة والعبادة والطاعة والنجاة في يوم القيامة.

وقد دلّت جملة من الأخبار على هذا المعنى:

منها: ما ورد في الإستئذان لدخول السرداب:" الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام، واخترتهم رؤساء لجميع الأنام وبعثتهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة، ثم مننت عليهم باستنابة أنبيائك لحفظ شرائعك وأحكامك، فأكملت باستخلافهم رسالة المنذرين كما أوجبت رياستهم في فطر المكلفين"[2].

منها: عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داود النبي عليه السلام، فيأتي النداء من عند الله عز وجل: لسنا إياك أردنا، وإن كنت لله خليفة. ثم ينادي مناد ثانيا: أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فيأتي النداء من قبل الله عز وجل: يا معشر الخلائق، هذا علي بن أبي طالب، خليفة الله في أرضه، وحجته على عباده، فمن تعلق بحبله في دار الدنيا فليتعلق بحبله في هذا اليوم، يستضئ بنوره، وليتبعه إلى الدرجات العلا من الجنان. قال: فيقوم الناس الذين قد تعلقوا بحبله في الدنيا فيتبعونه إلى الجنة. ثم يأتي النداء من عند الله عز وجل: ألا من تعلق بامام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب به، فحينئذ ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝

([1]) الزيارة الجامعة.

([2]) بحار الأنوار، ج99، ص115، وفيه يقول العلامة المجلسي: وجدت في نسخة قديمة من مؤلفات أصحابنا ما هذا لفظه: استيذان على السرداب المقدس والأئمة عليهم السلام: "**اللهم إن هذه بقعة.. الذين اصطفيتهم..**" المصدر نفسه".

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [1].

فعلى من أراد الإيمان والمعرفة والعلم والهداية والدخول إلى الجنة، أن يقتدي بأهل بيت رسول الله ويتبعهم ويطيعهم في كل شيء، وهذا ما قد نجده في أقوال المخالفين لهم أيضاً، فقد روى إبن حجر المكي عن الدارقطني أنه جاء عمر أعرابيّان يختصمان، فقال لعلي: "إقض بينهما يا أبا الحسن. فقضى علي بينهما. فقال أحدهما للآخر: هذا يقضي بيننا؟

فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال: ويحك، ما تدري من هذا؟

هذا مولاي ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن" [2].

ومن مظاهر إمامتهم وقيادتهم تجدهم لهم مراقبة لشيعتهم ولتصحيح سلوكياتهم وتذكيرهم في المسائل التي تقرب إلى الله تعالى، ويمكن أن نذكر هنا رويتان فقط:

1. روى أبو الصباح الكناني قال: صرت يوماً إلى باب أبي جعفر الباقر عليه السلام، فقرعت الباب، فخرجت إلي وصيفة ناهد، فضربت بيدي إلى رأس ثديها وقلت لها: قولي لمولاك: إني بالباب. فصاح من آخر الدار: أدخل، لا أم لك. فدخلت، وقلت: والله ما أردت ريبة، ولا قصدت إلا زيادة في يقيني فقال: صدقت لئن ظننتم أن هذه الجدران تحجب أبصارنا كما تحجب أبصاركم، إذاً لا فرق بيننا وبينكم! فإياك أن تعاود لمثلها"[3].

([1]) سورة البقرة/الآية:166و167.

([2]) الصواعق المحرقة، ص107؛ الرياض النضرة، ج2، ص224؛ ذخائر العقبى، ص67.

([3]) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج1، ص273.

2. عن أبي بصير قال: كنت اقرئ امرأة القرآن بالكوفة فمازحتها بشيء، فلما دخلت على أبي جعفر عليه السلام عاتبني وقال: من ارتكب الذنب في الخلاء لم يعبأ الله به، أي شيء قلت للمرأة ؟ فغطيت وجهي حياء وتبت فقال أبو جعفر عليه السلام: لا تعد[1].

وهاتان الروايتان وغيرها دلّت على مظاهر قيادة الأئمة عليهم السلام في مجال الأخلاق والعقيدة والإجتماع، وقيادة الأعمال سيما المتعلقة في العبادات وعلى رأسها الصلاة والمحافظة عليها والإتيان بها في أوقاتها؛ لأن أول الوقت في واقع الأمر هو اقتداء بالإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام؛ فمن يؤدي صلاته في اول وقتها فقد اقتدى به، وهذا الإقتداء يعني إمامة صلاة الإمام لصلوات العباد في صعودها إلى الله تعالى، كما يوجد موارد أخرى لقيادة الأئمة عليهم السلام في العباد والبلاد هو الإتجاه السياسي، حيث ورد أنهم " **ساسة العباد**[2]" وسوف يأتي التعليق على هذه الفقرة، والحاصل أن معرفتهم عليهم السلام تكون غاية للإسلام وقائداً وجاذباً ومحركاً وباعثاً إليه، وبهذا يتحقق معنى قادة الأُمم.

10. اَوْلِياءَ النِّعَمِ

أولياء جمع ولي مشتق من المادة(ولي) كالأنبياء جمع نبي، والمراد به هو الأولى والأحق والمتصرف الذي يلي التدبير ومدبر الأمور، وهو أحق بمولاه وماله من نفسه[3]، فولي المرأة

([1]) بحار الأنوار، ج46، ص247.

([2]) الزيارة الجامعة.

([3]) لسان العرب؛ ومجمع البحرين(مادة ولي).

زوجها، وولي الصغير والده، وهذا ما نص عليه اللغويون أيضاً، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" **من كنت مولاه فهذا علي مولاه**"[1].

فعن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا... ﴾ قال: إنما يعني أولى بكم أي أحق بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم، الله ورسوله والذين آمنوا يعني عليا وأولاده الأئمة عليهم السلام إلى يوم القيامة[2].

والنعم جمع نعمة بكسر النون: وهي الخفض والدعة والمال، ومطلق ما يتنعم به الإنسان، وهي المعرفة، والإيمان، وفروعها من فضائل الملكات والخيرات المعنويّة.

والنعم على أقسام:

1. النعم الظاهرة: أي التي تكون مرئيّة في السماء والأرض وما بينهما مما نشاهدها.
2. النعم الباطنة: أي التي لا تكون مرئيّة ولكنها معنويّة كالمعرفة والإيمان، والصفات الحسنة والكمالات التي ندركها.
3. النعم الأُخرويّة: أي التي يُتفضّل بها في الحياة الآخرة كالكوثر والشفاعة والدرجات الرفيعة.

هذه نعم الله تعالى التي يتفضل بها علينا ظاهرة وباطنة دنياً وآخرة.

ولا شك أن جميع النعم من الله سبحانه، كما قال:﴿ وما بكم من نعمة فمن الله﴾[3].

جاء في تفسير علي بن إبراهيم: أبي عن الأصفهاني عن المنقري عن شريك عن جابر قال: قال رجل عند أبي جعفر عليه السلام: ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ قال: أما النعمة الظاهرة فهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما جاء به من معرفة الله عز وجل وتوحيده، وأما النعمة الباطنة فولايتنا

([1]) الكافي، ج1، ص420.

([2]) الكافي، ج1، ص288.

([3]) سورة النحل/الآية:53.

أهل البيت وعقد مودتنا، فاعتقدها والله قوم هذه النعمة الظاهرة والباطنة، واعتقدها قوم ظاهرة ولم يعتقدوها باطنة، فأنزل الله: ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ ففرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند نزولها إذ لم يقبل الله تبارك وتعالى إيمانهم إلا بعقد ولايتنا ومحبتنا[1].

وحديث الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدلوا عن وصيه ؟ لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب، ثم. ثلا هذه الآية : ﴿ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم ﴾، ثم قال: نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز يوم القيامة[2].

وروى العياشي بإسناده في حديث طويل قال: سأل أبو حنيفة أبا عبد الله عليه السلام، عن هذه الآية﴿ ثم لتسألنَّ يومئذٍ عن النعيم﴾ [3] فقال له: " ما النعم عندك يا نعمان ؟ " قال: القوت من الطعام، والماء البارد، فقال: " لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة، حتى يسألك عن أكلة أكلتها أو شربة شربتها، ليطولن وقوفك بين يديه " قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: " نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء، وبنا هداهم الله للاسلام، وهي النعمة التي لا تنقطع والله، سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبي وعترته عليهم السلام "[4].

([1]) بحار الأنوار، ج24، ص 53؛ تفسير القمي، ج2، ص165.

([2]) الكافي، ج1، ص217.

([3]) سورة التكاثر/الآية:8.

([4]) مستدرك الوسائل، ج16، ص248.

فأهل البيت عليهم السلام بأنفسهم من نعم اللهعزوجل، بل هم من أعاظم النعم الإلهيّة، كما أن بيمنهم تدبر النعمة لنا، وببركتهم تحصل سعادتنا وفوزنا، وبوجودهم تنال الدرجات الرفيعة والمقامات المنيعة، فيكونون أولياء النعم الفاخرة، وأصحاب الجود والكرم لجميع الموجودات في الدنيا والآخرة.

وأولِياءَ النّعَمِ الَجليلَة ذوي أيادٍ في العَطا طَويلَة

11. عَناصِرَ الأبْرار

العناصر جمع (عنصر)، قال أهل اللغة: أصل الشيء عنصره، عنصر الشيء أصله[1]، وقد يقال: تأتي بمعنى استخلاص سائل الشيء وإخرجه منه[2]، والأبرار جمع بَرّ بالفتح، بمعنى البارّ وهو فاعل الخير.

وفسر الأبرار بأنهم هم المطيعون لله، المحسنون في أفعالهم، وأهل البيت صلوات الله عليهم هم الأبرار في صفتهم، والأصل والأساس للأبرار في عنصرهم.

فالأئمة عليهم السلام أصل الأبرار كلهم، فيعم من كان براً من الآدميين بجميع طبقاتهم، والملائكة كذلك، خاصة الذين ذكرهم اللهعزوجل بقوله:﴿ بأيدي سفرة۞ كرام بررة﴾ [3].

جاء كلمة الأبرار في القرآن الكريم وتكررت في خمس مرات، مرة في سورة آل عمران الآية193، وثانية في سورة الإنسان الآية5، وثالثة في سورة الإنفطار الآية13، ومرتان في سورة المطففين18و22.

([1]) لسان العرب، ج4، ص611؛ تاج العروس، ج7، ص271.

([2]) المصباح المنير، مادة "عصر".

([3]) سورة عبس/الآية:16.

وقد قابل القرآن الكريم بين الأبرار والفجار، فقال: ﴿ إن الأبرار لفي نعيم۞ وإن الفجار لفي جحيم﴾ [1]، والفاجر هو من يمزق حجاب التقوى والعدالة فيظهر منه الفسق والعدوان، ويقابله البر، وهو من يحوط التقوى والعدالة بعمل الصالحات وامتثال التكليف.

كما أن الأئمة الأطهار عليهم السلام هم معدن كل خير وبرّ، وأساس كلّ خصلة رضيّة،" إن ذكر الخير كنتم أوله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه"[2].

ومن يتصف بخصلة حميدة وينتظم بها في زمرة الأبرار سيرتوي من كوثر الإمامة الفيّاض؛ لأن الأئمة الأطهار عليهم السلام هم أصل الأبرار وعناصرهم.

وربما يقال لأنهم عليهم السلام هم الأصل لشيعتهم الأبرار من حيث أن شيعتهم خلقوا من فاضل طينتهم فكانوا متفرغين منهم، وكان أهل البيت عليهم السلام هم الأصل لهم، كما يشهد لهم احاديث الطينة وهي كثيرة نكتفي بواحدة منها.

فعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال إن الله خلق محمداً من طينة من جوهرة تحت العرش، وانه كان لطينة نضح فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت لطينتنا نضح فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا فقلوبهم تحن إلينا وقلوبنا تعطف عليهم تعطف الوالد على الولد ونحن خير لهم وهم خير لنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنا خير ونحن له خير[3].

([1]) سورة الإنفطار، الآية:13و 14.

([2]) إحدى فقرات الزيارة الجامعة التي سوف يأتي الحديث عنها والتعليق عليها.

([3]) الصفار، بصائر الدرجات، ص34؛ ومن أحب التوسع في حديث الطينة يجد شواهد كثيرة من روايات متعددة في هذا السياق، فليراجع الكافي، ج1، ص389؛ الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص173؛ بحار الأنوار، ج12، ص8؛ النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج6، ص625.

وفي صلاة يوم الغدير وأصلها:".. النجباء، الأبرار، والباب المبتلى به الناس"[1].

إن أتباع آل البيت عليهم السلام يجب أن يحققوا هذه المراتب العالية وهي مراتب البر والإحسان فاتباعهم حتى يكونوا رموزاً وقادة في المجتمعات الإنسانيّة وهذا هو الدور الذي ينبغي أن يجسدوه شيعتهم، فالأبرار هم الذين يقودون المجتمع في جميع الأصعدة والمجالات، فإذا خلت المراكز السياسية والإجتماعيّة من الأبرار فإن الأمة تصبح ميتة ولا قيمة لها، والعدو هو المتربص والمستفيد من خلاء الأمة من أبرارها وعناصرها البارة.

ومن هنا نقول على العائلة أو الأسرة ينبغي أن تسعى لتحقيق الأجوار المرتبطة بأخلاق الأبرار، وهذه هي مسؤولية الأب والأم في تربية أولادهم على هذا الخلق الرفيع، بمحاربة الأنانيّة والمصلحة الخاصة، لأنها لا تبني الإنسان، بل أن الذي يبني الإنسان والمجتمع هي تحقيق أخلاق الأبرار التي هي خالية من جميع المظاهر السلبيّة كالغل والحقد والبغض والكره.

12. دَعائِمَ الأَخْيارِ

دعائم جمع دعامة . بالكسر. وهي عماد البيت الذي يقوم عليه[2]، ويمنعه من السقوط، ومنه قيل للسيد في قومه: هو دعامة القوم، كما يقال: هو عمادهم[3]، والأخيار جمع خيّر

([1]) المفيد، المقنعة، ص205.

([2]) الصحاح، ج5، ص1919؛ النهاية في غريب الحديث، ج2، ص120؛ لسان العرب، ج12، ص202؛ القاموس المحيط، ج4، ص112.

([3]) المصباح المنير، ص194.

بالتشديد خلاف الأشرار، فهم دعامة كل خير وصلاح، لأن ولايتهم شرط الإيمان والتوحيد والنبوة وقبول الأعمال والإسلام؛ ولأنهم باب التوحيد وأركانه ولا يتقوم الشيء إلا بالأركان.

ومعناه أن الأئمة عليهم السلام موطن أعتماد، موضع أتكاء الأخيار والأبرار، فعليهم العول والمعتمد في الأحكام الإلهيّة والمعارف الربانيّة، وهم مرجع الصلحاء والأخيار في انتقاء الفضائل، وكل من أعتمد وأستند في علوم التفسير والأحكام والمعارف الإسلاميّة على غيرهم فأنه ضال ومنحرف.

فهم عمد هذه الخيمة، وهي منصوبة ببركة وجودهم، فهم عمد هداية الأخيار المكلفين من الجنة والناس أجمعين في التشريع والتكوين، فحاجة الأخيار إلى الدعامة تكون دائمة، والدعائم المحتاج إليها في كل زمان ومكان لكلٍ من الأخيار هي آل البيت عليهم السلام.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام:" بني الإسلام على خمس: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة، ولم يجعل في الولاية رخصة من لم يكن له مال لم يكن عليه الزكاة، ومن لم يكن عنده مال فليس عليه حج، ومن كان مريضاً صلى قاعداً وأفطر شهر رمضان. والولاية صحيحاً كان أو مريضاً أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمة"[1].

ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: "يا قنبر أبشر وبشر واستبشر فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على امته ساخط إلا الشيعة ... ألا وإن لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة"[2].

([1]) الصدوق، الخصال، ص278؛ وسائل الشيعة، ج1، ص23.

([2]) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج12، ص282.

وفي حديث إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة وصفاتهم عليهم السلام :"... أن الله عز وجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه... جعلهم الله حياة للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للاسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها"[1].

وقد وصف الأنبياء والرسل في القرآن الكريم بالأخيار، قال تعالى:﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب... وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ۞ واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ﴾[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام ما نصه:" إن الله عز وجل أدب نبيه على محبته فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [3] ثم فوض إليه فقال عز وجل: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [4]، وقال عز وجل: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [5] قال: ثم قال وإن نبي الله فوض إلى علي وائتمنه فسلمتم وجحد الناس فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله عز وجل، ما جعل الله لأحدٍ خيراً في خلاف أمرنا"[6].

واتضح في مسار الاحداث العالميّة أن الشيعة وحدهم هم الفئة الوحيدة الباقيّة التي تحارب وتجاهد من أجل تثبيت الحق، ومحاربة الباطل، وأتضح ذلك في الصراع اليهودي الشيعي، وتترجمت هذه الصراعات وما نعيشه اليوم في هذه العصر الراهن بالطائفة الشيعيّة، ومن هنا

([1]) الكافي، ج1، ص204.

([2]) سورة ص/الآية:47. 48.

([3]) سورة القلم/الآية:4.

([4]) سورة الحشر/الآية:7.

([5]) سورة النساء/الآية:80.

([6]) الكافي، ج1، ص265.

قال الإمامعليه السلام أن الشيعة هم دعائم الإسلام، واليهود يعرفون ذلك في كتبهم وتراثهم، ولهذا هم يسعون إلى تدمير الشيعة في المنطقة والعالم.

وسادتي عَناصِرَ الأبْرارِ وقادتي دَعائِمَ الأخيارِ

13. ساسَةَ الْعِبادِ

ساسة جمع سائس، ويطلق في اللغة على عدة معاني: سوس الرجل أُمور الناس إذا مُلّك أمرهم فيكون السائس هو من يمّلك الأمر، والسَّوْس هي الرئاسة، والسياسة: فعل السائس، وهي القيام بما يصلحه[1]، وجاء(ساسة العباد) وهي مأخوذة من سست الرعيّة سياسة: أي أمرتها ونهيتها... وفي الخبر:" كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبيائهم"[2] أي تتولّى أمرهم كالأُمراء والولاة بالنسبة إلى الرعية[3]، فيكون المربي والمدبر على كما ما ينبغي.

وقد أنشد ثعلب:

سادة قادة لكل جميعٍ ساسةٌ للرجال يوم القتالِ

والمراد بها: من له الأهليّة أن يأتمر بأوامره وينتهوا بنواهيه، وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كذلك.

والعباد جمع عبد، وهو مقابل المولى، أي عباد الله، فالله هو المولى والخلق عبيده، فالعباد بمعنى المخلوقين جميعاً من ملائكة وجن وإنسان لإطلاق الآيات المباركة.

قال تعالى: (وما الله يريد ظلما للعباد)، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن..).

فساسة العباد معناه ملوك العباد وخلفاء الله عليهم.

([1]) لسان العرب، ج6، ص108؛ المصباح المنير، ص295.

([2]) الشوكاني، نيل الأوطار، ج7، ص356.

([3]) مجمع البحرين، مادة سوس، ص327.

وعن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال: ﴿ إنك لعلى خلق عظيم ﴾، ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عز وجل: ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لا يزل ولا يخطيء في شئ مما يسوس به الخلق، فتأدب بآداب الله[1].

إن آل البيت عليهم السلام هم ساسة العباد، ومعناه أنهم يدبرون أمور العباد في المجالين: الدنيوي والأُخروي كسن السنن وفرض الفرائض ويرغبون العباد على العمل بها بذكر الثواب الجزيل والأجر.

وجاء في رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام قال: " أما حق سائسك بالملك فأن تطيعه ولا تعصيه"[2].

إن المهمة الرئيسيّة للساسة الربانيين هو هداية وتنوير البشريّة، وأما القيام بالقسط وحفظ الوطن والماء والمعادن وما شابهها فهي فرع الهداية، وتتمحور سياسة الأئمة عليهم السلام حول" التوحيد" كما هو الحال في سائر أفعالهم الأخرى؛ ولهذا لا تتلائم بعض تحركاتهم السياسيّة والإجتماعيّة ومعايير السياسيين المخادعين في ذلك الزمان كما في الدولة الأمويّة والعباسيّة، ولا في مع معايير السياسيين المتلاعبين في هذا الزمان، كما نراه في السياسات الخارجيّة والداخلية للسياسيين المخادعين في العالم الغربي والشرق الأوسط، وهاهم السياسيون منهمكون في إعمال الحيلة، وفي كل لحظة لهم مكر جديد للقضاء على دين الله وتحريفه واستغفال عباده واستدراجهم.

([1]) الكافي، ج1، ص266.

([2]) تحف العقول، ص187.

إنهم عليهم السلام يرون السياسة والحكم، والحرب والدفاع، والصلح وغير ذلك، وسائل لهدايّة البشريّة وإرشادهم، وليست وسائل للتسلط والإستيلاء على كرسي الزعامة والعبث بالمال العام ونهبه الذي هو ملك الشعب، والشواهد على هذه السياسة كثيرة، نجدها في واقعة كربلاء، وفي سيرة سائر الأئمة عليهم السلام، وخصوصاً في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وحكومته الممتدة عبر سنوات خمس.

ومن هنا نجد في رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية يشير إلى شكل السياسة التي انتهجها معاوية بن ابي سفيان البعيدة من سياسة الأنبياء في إدارة وتولي شؤون العباد والبلاد، والتي ورد فيها:" متى كنتم يا معاوية ساسة الرعيّة، وولاة أمر الولاية"[1].

ومن المعروف أن سيرة الأمويين كانت قائمة على السفاهة والمكر، لا على السياسة الحقة والقيادة النزيهة؛ لأنهم لم يستثمروها في هداية وإصلاح وإرشاد المجتمع الإنساني.

إن لتسييس الأمة وتدبير شؤونها شرائط، وما لم تتوفر في السائس لن يتمكن من القيام بالدور الإلهي الصحيح، مما يجره إلى الغضب الإلهي، ومن تلك الشرائط: الصبر والتحمل وسعة الصدر، كما جاء في أن" **آلة الرئاسة سعة الصدر**"[2]، وما ورد في سياسة المرسلين الصابرين وسعة صدرهم، فقد ورد في سيرة نبي الله يونس عليه السلام حيث أوحى الله إليه:" **ولم تسسهم بسياسة المرسلين**"[3]. أي: أنه عليه السلام كان بأمكانه الصبر أكثر كما صبر نبي الله نوح عليه السلام وكان أصبر منه على قومه.

([1]) نهج البلاغة، الكتاب رقم10.

([2]) نهج البلاغة، الحكمة رقم176.

([3]) بحار الأنور، ج14، ص393.

وعند مراجعة الكتب والمصنفات الاخلاقيّة نجد بحوثاً عن أسلوب وسلوك ربّ الأسرة مع أفراد عائلته، وكيفيّة تعامله معهم بما يهيدهم ويرشدهم عملياً إلى أفضل سبل العيش في الحياة. كما أنه لا بد لمن يلي أمر السياسة لحيّ من الأحياء أو مدينة من المدن، أن يضع خطة لإدارة أمور تلك المنطقة بما يصلح شؤون أهاليها الماديّة والمعنويّة، لما فيه سعادتهم في الدارين.

بناءً على ذلك، فإن المهمة التي أو كلها الله إلى الأئمة من آل محمد عليهم السلام، هي إدارة أمور البشريّة وتدبيرها، لتصل إلى ساحل الخير والصلاح والطمأنينة والسعادة في الدارين.

وخلاصة القول: إن المحور الأساس في سياسة الأنبياء ورسل الله والأئمة الأطهار عليهم السلام هو هداية الناس إلى كمال التوحيد والقيام فيهم بالعدل، وإلى هذا المعنى يقول الإمام الرضا عليه السلام: " عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، عزّ وجلّ، ناصح لعباد الله، وحافظ لدين الله.."[1] إشارة منه عليه السلام إلى شرائط الإمامة والإمام، بل لأهل البيت عليهم السلام برنامجاً دقيقاً وخطة محكمة لحياة الإنسان الماديّة والمعنويّة، مما يصلح شؤونه ويرتب أُموره ويوجب سعادته في الدنيا والآخرة.

ويمكن أن يقال أنهم عليهم السلام ساسة العباد من الملائكة والجن والإنس أجمعين؛ لأن كلمة العباد مطلقة وعامة.

قال تعالى: ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن﴾[2].

وساسةَ الأمورِ في العِبادِ حَقّاً **وأركانَ** هُدى **البِلادِ**

([1]) الكافي، ج1، ص202.

([2]) سورة الزخرف/الآية:19.

14. اَرْكانَ الْبِلاد

الأركان جمع ركن، وركن الشيء جانبه الأقوى الذي يمسكه ويحفظه ويبقيه[1]، فركن الشيء ما يمكن حدوثه وبقاؤه مستنداً إليه، كما هو الحال في قواعد العمارة، فإنها هي الأركان لها وبثباتها تبقى العمارة ثابتة وبتزلزلها تنهار، وقد جاء في القرآن الكريم في قصة لوط: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [2]، وبمعنى آخر أن الأركان هي ما يعتمد عليه أُفقيّاً كالجدار الذي يتكىء عليه الرجل، بخلاف الدعامة التي يعتمد عليها المعتمد عمودياً كالسقف، فالركن هو أصل لكل البناء فيحفظه جميعاً عن الخراب، والبلاد جمع البلدة، ويطلق البلدة والبلاد على كل موضع من الأرض، عامراً كان أو خالياً، ويطلق نظام العالم ووجودها إنما هو بوجود الإمام المعصوم وببركته.

ذكر الشيخ الإحسائي في تعليقه على هذه الفقرة مستشهداً بدعاء الوتر:" **وانت الله عماد السماوات والأرض، وأنت الله قوام السماوات والأرض**"[3]، وفيه إشارة أن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام عماد السماوات والأرض، وأن الحسين عليه السلام أخاه قوام السماوات والأرض، وإنما يعرف ذلك أصحاب الأفئدة[4].

([1]) الصحاح، ج5، ص1919، النهاية في غريب الحديث، ج2، ص12؛ لسان العرب، ج12، ص202؛ القاموس المحيط، ج4، ص112.

([2]) سورة هود/الآية:80.

([3]) البهائي، جامع عباسي(فارسي)، ص71.

([4]) الإحسائي، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، (تلخيص وتوضيح)، ص23.

هذا ما دلت على النصوص والأخبار من أن الأرض لو خليت من أحد منهم ظاهراً كان أو مستتراً أو غائباً لا نخسف بأهلها؛ لأنهم أركانها وقوامها، وبوجودهم الشريف يحفظ الله ﷻ العباد من الإنحراف والبلاد من الإنخساف.

فالأئمة عليهم السلام هم الأعمدة وأوتاد الأرض وقواعدها التي تتقوم بها البلاد وتستقر وتطمئن، فهم السبب في إعمارها وبقائها عامرة، وقد دلت على ذلك جملة من الأخبار:

منها: عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال: " فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باب الله الذي لا تؤتى الا منه وسبيله الذي من سلكه وصل إلى الله وكذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام من بعده وجرى في الأئمة واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض ان تميد باهلها"[1].

منها: قال عليه السلام:" لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله"[2].

وذكر القاضي إبن البراج في باب صلاة يوم الغدير هذا الدعاء المروي عنهم عليهم السلام:" ...اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الأئمة القادة والدعاة السادة والنجوم الزاهرة والأعلام الباهرة وساسة العباد وأركان البلاد.."[3].

وفي زيارة الإمام علي عليه السلام جاء فيها: " ودعائم الأوتاد، وأركان البلاد"[4].

وجاء في التوقيع الشريف لصاحب الأمر:" إني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء"[5].

([1]) الصفار، بصائر الدرجات، ص219.

([2]) الكليني، الكافي، ج1، ص179.

([3]) إبن البراج، المهذب، ج1، ص147.

([4]) المشهدي، المزار، ص245.

([5]) المجلسي، بحار الأنوار، ج53، ص359.

وهذا هو المعنى بالأخبار[1] الواردة في أن الأئمة عليهم السلام أركان الأرض يراد بها: أن سر آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي تتقوى به الأرض وبه تقوم، والذي يدل عليه: وجود الأرض قبل خلق آدم عليه السلام بما شاء الله، ووجود خلق كثير يفسدون فيها ويسفكون الدماء، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [2]، كما أنهم أركان السماوات، لقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [3].

وسوف يأتي الشرح والبيان والتعليق عن فقرة: "**وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**"[4].

15. اَبْوابَ الأيمان

الأبواب جمع باب وهو طريق السلوك إلى الشيء، أو مدخل ومخرج مكان معين، فأبواب الإيمان بمعنى الطريق إليه، والإيمان في اللغة: هو التصديق كما أفاده الشيخ الطريحي، ثم قال: الإيمان يراد على صيغتين: الإيمان بالله والإيمان لله. فالإيمان بالله هو التصديق بإثباته على النعت الذي يليق بكبريائه. والإيمان لله هو الخضوع والقبول عنه والاتّباع لما يأمر والإنتهاء لما ينهى[5]، ونُزّل "**الإيمان**" بمنزلة مكان يراد الدخول إليه، ونُزّل الأئمة بمنزلة "**الأبواب**" لذلك المكان.

([1]) الكليني، الكافي، ج1، ص196، باب أن الأئمة هم أركان الأرض.

([2]) سورة البقرة/الآية:30.

([3]) سورة الرعد/الآية:2.

([4]) ينظر: رقم 275 للفقرة من زيارة الجامعة الكبيرة في شرحنا هذا.

([5]) الطريحي، مجمع البحرين، ص56.

يقول السيد الميلاني: إن أي مكان محصور يراد الدخول فيه يلزم نصب الباب أو الأبواب له من جهة الدخول عن طريقه، كما ان الباب يعدّ من أجزاء ذلك المكان بل من أجزائه الرئيسيّة، ناهيك ان الدخول في المكان لا عن طريق الباب المعدّ لذلك يعتبر قبيح عقلاً وعقلاءً، وغير جائز من الناحيّة الشرعية[1] قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [2].

وأما في الشرع: فقد قال العلامة المجلسي قدس سره:" إن الإيمان هو التصديق بالله وحده وصفاته وعدله وحكمته، وبالنبوة، وكل ما علم بالضرورة مجيء النبي به، مع الإقرار بذلك(وعلى هذا أكثر المسلمين بل ادّعى بعضهم إجماعهم على ذلك) والتصديق بإمامة الأئمة الإثني عشر وبإمام الزمان عليه السلام(وهذا عند الإماميّة)"[3].

والأحاديث المباركة توضح حقيقة الإيمان بأتم بيان:

1. محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال:" الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل"[4].

2. أبو الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مؤمناً؟ قال: فأين فرائض الله؟ قال: وسمعته يقول: كان علي عليه السلام يقول:" لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام"[5].

([1]) الميلاني، علي، مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة الكبير، ج1، 201.

([2]) سورة البقرة/الآية:189.

([3]) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج69، ص149.

([4]) الكليني، الكافي، ج2، ص24.

([5]) الكافي، ج2، ص33.

3. أبو الصلت الخراساني قال: سألت الرضا عليه السلام عن الإيمان؟ فقال: " الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللسان وعمل بالجوارح، لا يكون الإيمان إلا هكذا"[1].

4. حفص الكناسي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً؟ قال:" يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويقرّ بالطاعة ويعرف إمام زمانه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن"[2].

المستفاد من هذه الأحاديث الشريفة أن المعنى الشرعي للإيمان هو: التصديق بالله وحده لا شريك له وبصفاته، وبالنبوة، وبكل ما جاء به النبي ومنها الإمامة للأئمة الإثني عشر إلى الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، والمعاد، والإقرار بذلك كله، وعقد القلب عليه، والتلفظ به لساناً، والعمل به جوارحاً، وآل محمد عليهم السلام هم الطرق إلى الإيمان، والإيمان لا يعرف إلا منهم، ولا يحصل بدون ولايتهم، فهم خلفاء الله وأبوابه والطريق إليه كما نصت عليه جملة من الأخبار كما في حديث أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال:" الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه" [3].

بعد هذه الإطالة السريعة يتبين معنى قوله عليه السلام" **وأبواب الإيمان**" أن التعدد هذا للأبواب لجهة أفرادهم أي أن كل واحد منهم عليه السلام يكون باباً للإيمان فلا يعرف الإيمان إلا عنهم، ولا يكتسب إلا منهم، ولم ينزله الله من خزائن غيبه إلا فيهم، ولا يخرجه احد إلا منهم، ولا يخرجه منهم إلا بهم.

([1]) الصدوق، معاني الأخبار، ص186.

([2]) معاني الأخبار، ص393.

([3]) ينظر: بحار الأنوار، ج39، ص253، ص302؛ الكافي، ج1، ص193، ج2، ص24.

وبناءً على هذا يكون الإيمان كمحيط محدود، له أبوابٌ عديدة، فأبوابه آل البيت عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1]، وقد جاء التعبير عنهم عليهم السلام بأبواب الإيمان لا الإسلام لجهة الفرق بينهما؛ لأن للإسلام مرتبتين:

1. دون الإيمان، وهي إقرار ظاهري فقط دون اعتقاد قلبي، كما قال سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [2].

فباب هذه الرتبة من الإسلام هو إقرار بالشهادتين ليحقن به الدم وتحصل المعاملات الإجتماعيّة في الأمة.

2. فوق رتبة الإسلام وهو الإيمان وانهم أبواب هذه المرتبة الإيمانيّة، أي الذي هو فوق رتبة الإسلام المذكورة بمعنى أن من أراد أن يعرف الله، وكذا أنبياءه عليهم السلام والمعاد على معناه الصحيح، ويعتقد به، يجب عليه أن يأخذ معرفته واعتقاده من هدايتهم وولايتهم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :" **نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى من أبوابها نحن باب الله وبيوته التي يؤتى منه، فمن تابعنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها** "[3]، فتحصل بذلك الرتبة العليا من الإسلام، وهي حقيقة التسليم التي تكون فوق الإيمان[4]، وإلا لو لم تكن هدايتهم لا يُعرف التوحيد الصحيح، بل

([1]) سورة البقرة/الآية:189.

([2]) سورة الحجرات/الآية:14.

([3]) الطبرسي، الإحتجاج، ج1، ص338.

([4]) في تراث آل البيت عليهم السلام جملة من الاخبار التي بينت أن حقيقة الإسلام هو التسليم، وحقيقة التسليم هو التصديق به وحقيقة التصديق هو اليقين وحقيقة اليقين هو الأداء، وحقيقة الأداء هو العمل... فعن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: "**لأنسبن الاسلام نسبة لم ينسبه**

ينحرف الناس عنه، فيكون توحيده كتوحيد المجسّمة أو الحلوليّة أو الإتحاديّة القائلين بالتجسيم له سبحانه، أو حلوله في خلقه أو اتحاده بهم، أو يكون اعتقاده بالعدل كاعتقاد الأشعريّة أو المعتزلة، حيث ضلوا عن طريق العقل القويم والفطرة السليمة، فتحصل أن لهدايتهم إلى هذا المقصد الأعلى حاجةٌ ماسّة؛ ومن جهة أُخرى، فبالإعتقاد بولايتهم عليهم السلام يصير كل من التوحيد والعدل والنبوة والمعاد كالجسد المنفوخ فيه الروح[1].

ولذا ورد في شانهم: أن معرفتهم معرفة الله، والجهل بهم جهل بالله، والإيمان بهم إيمان بالله، وكفرهم كفر به، والخلو منهم الخلوّ منه تعالى[2]، ومن هنا كان أن حدود الإيمان ومراتبه يجب أن تلتمس منهم عليهم السلام ومن أبواب علومهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" **أنا مدينة العلم وعلي بابها**"[3].

يقول إبن حماد:

هذا الإمام لكم بعدي يسددكم * رشداً ويوسعكم علماً وآداباً

اني مدينة علم الله وهو لها * باب فمن رامها فليقصد البابا[4]

أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي، الاسلام هو التسليم ، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو والأداء هو العمل". ينظر: الصدوق، الأمالي، ص432، كما أن الإيمان له حالات ودرجات وطبقات ومنازل. ينظر: الكليني، الكافي، ج1، ص33، باب أن الإيمان مبثوث لجوارح البدن.

([1]) الهمداني، علي نظامي، المعارف الرافعة في شرح الزيارة الجامعة، ص92.

([2]) الكليني، الكافي، ج1، ص185.180، باب معرفة الإمام والرد إليه.

([3]) الأميني، الغدير، ج6، ص61، 81؛ إبن الجوزي، تذكرة الخواص، ج1، ص43؛ القندوزي، ينابيع المودة، ص65، 27؛ الكنجي، كفاية الطالب، ص220؛ وقد ذكر هذا النص الشريف في عشرات المجاميع الحديثيّة من فرق المسلمين.

([4]) إبن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج1، ص315؛ الاندلسي، المقتطفات، ج2، ص140.

ومن لطيف ما يذكر هنا أن أعرابياً دخل المسجد، فبدأ بالسلام على علي عليه السلام ثم سلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فضحك الحاضرون، فقالوا له في ذلك، فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:" **أنا مدينة العلم وعلي بابها**"، فقد فعلت كما أمر صلى الله عليه وآله وسلم [1]، وقد ورد في كتب الفريقين أن علياً عليه السلام " باب الدين"[2]، "باب حطة"[3]، "باب السلم"[4]، "باب الفقه"[5]، "باب الجنة"[6]، "باب الحكمة"[7]، "باب النبي"[8]، "باب الله"[9]، وهم "**الباب المبتلى به الناس**"[10]، كما سوف يأتي شرح هذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:" **ولو لا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والأوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تُدخل قرية إلا من بابها..**"[11].

وكيف كان؛ فهم عليهم السلام أبواب العلوم والمعارف الإلهيّة والطرق الموصلة لحقائق الإيمان، فيجب التزود من منبع علومهم والإستمداد من سيرتهم، فهم الأسوة الحسنة للبشريّة في

([1]) العاملي، علي بن يونس، الصراط المستقيم، ج2، ص19.

[2]) القندوزي، ينابيع المودة، ج2، ص243.

([3]) الجامع الصغير، ج2، ص177؛ فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ج4، ص469.

([4]) النعماني، الغيبة، ص44.

([5]) نفحات الأزهار، ج10، ص365.

([6]) إبن المغازلي، ص86؛ أمالي الطوسي، ص309.

([7]) نفحات الأزهار، ج10، ص350.

([8]) العاملي، وسائل الشيعة، ج27، ص76؛ فرائد السمطين، ج1، ص150؛ كفاية الطالب، ج10، ص389؛ ينابيع المودة، ص63.

([9]) المجلسي، بحار الأنوار، ج36، ص4.

([10]) متن زيارة الجامعة الكبيرة.

([11]) الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج1، ص590.

حياتها[1]، كما أنهم الأبواب للإعتقاد الجازم بما يجب الإعتقاد به كذلك، والتصديق المطلق بما يجب التصديق به كذلك، وإنهم الباب الوحيد المنصوب من الله تعالى للدخول في هذا الحصن المستحكم، والإعتقاد الجازم بإمامتهم والتصديق المطلق بأقوالهم الصادرة عنهم هو من الاجزاء الرئيسيّة للإيمان الموجب للأمن من الضلال والعقاب الأُخروي، لمن كان له الأهليّة والصلاحيّة لذلك..[2].

وقُلْ أيا **أبوابَ** آياتِ السَّما ومَنْهَلَ **الإيمان** يا دارَ الحِمى

16. أُمَناءَ الرَّحْمن

الأُمناء جمع الأمين من الأمانة ضد الخيانة، ومنه محمد أمين الله أي ائتمنه الله تعالى، ومحمد الأمين أي الذي ائتمنه الناس ولم يخنهم في الإمانة[3]، وفي الزيارة المطلقة الثانية والتي جاء أُولها:" **السلام عليك يا أمين الله**"[4]، وكذا مثلها الزيارة السادسة التي رواها صفوان، والتي جاء فيها: "**قصدتك يامولاي يا أمين الله وحجته**"[5]، والأمين هو المؤتمن على الشيء، ومفهوم الأمانة يتقوّم بثلاثة أُمور:

1. المُؤتَمِن: وهو الذي يودِعُ الشيء لدى أحد.

([1]) الآملي، عبد الله، أدب فناء المقربين شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج1، 234.

([2]) الميلاني، علي، مع الأئمة الهداة..، ج1، ص203.

([3]) الطريحي، مجمع البحرين، مادة أمن ص547.

([4]) ينظر: المشهدي، كتاب المزار؛ بحار الأنوار، ج102، ص176.

([5]) بحار الأنوار، ج100، ص306؛ وروى الشيخ المفيد والشهيد الأوّل والسيد إبن طاووس في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام الأُولى:" **السلام من الله على محمد رسول الله، أمين الله على وحيه ورسالاته وعزائم أمره**". بحار الأنوار، ج100، ص284، فالأئمة عليهم السلام أُمناء كجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم مشتركون معه في جميع الخصائص باستثناء النبوة. بحار الأنوار، ج27، ص50.

2. المُؤتَمَن: وهو الذي يودَعُ عنده الشيء.

3. الشيء المؤمَّن: وهو الشيء المودَع من قبل المودِع لدى المؤتَمَن، وليس بالضرورة أن يكون شيئاً من الأعيان، فقد يكون كلاماً أو خبراً يودع عند الشخص ويطلب منه أن لا ينتشر، كما في الأحاديث عن النبي وآله، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" **المجالس بالأمانة**"[1].

فعلى ذلك، يمكن أن تكون الامانة شيئاً مادّياً أو معنوياً، وإذا لم يتوفر طرف من الأطراف الثلاثة، لا يتحقق عنوان الأمانة مطلقاً، إلا أن " **أُمناء الرّحمن**" قد أشتمل على طرفين، فما هو الشي الذي أودعه الله تعالى لدى أهل البيت عليهم السلام فأصبحوا بموجبه أُمنائه؟

والفرق بين" المؤتَمَن والأمين" أن الأول موضع اعتماد الناس وثقتهم، وإن كان خائناً في نفسه، والثاني هو من يتصف بالامانة حقاً وصدقاً كملكة راسخة، فهو جديرٌ بثقة الآخرين في ذاته، وعليه فالأمين هو من تودع لديه الأمانات لحفظها اطميناناً وثقة به.

ولقب صاحب تفسير "مجمع البيان" بـ "أمين الإسلام"، ولقب بعض العلماء والأعيان بـ"أمين الشريعة" و"أمين الدين" و... لأنهم لم يخونوا جماعة المسلمين ولا البشريّة، رغم ابتلائهم بامتحان صعب وعسير[2].

عند ملاحظة الغرض من جعل الشيء أمانةً عند الشخص يختلف:

فقد يجعله لأن يحتفظ به ولا يأذن له بالتصرف فيه أصلاً.

وقد يجعله عنده ويأذن له بالتصرف.

فتارة: يأذن بالتصرف لنفسه.

([1]) الكليني، الكافي، ج1، ص660.

([2]) الآملي، مصدر سابق، ج1، ص257.

وأُخرى: يأذن بالتصرف في جهةٍ أُخرى معينة.

وثالثة: يأذن بالتصرف فيه على جهة الإطلاق، وهذه الصورة الأخيرة هي المناسبة لفقرة "**أُمناء الرحمن**"، وقد دل إضافة الأُمناء إلى الرحمن لا إلى لفظ الجلالة أو الرب، وهذا يدل على الشمول؛ لأن الإضافة إلى الرّحمة الرّحمانيّة إشارة إلى أن فوائد وبركات تصرفات الأئمة عليهم السلام في الأشياء ليست خاصة بأهل الإيمان، بل إنها تعم جميع الخلائق، كما أن الرّحمة الإلهيّة عامة ووسعت كل شيء، كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [1].

الرحمن: "الرحمن الرحيم" مشتقتان من " الرحمة" التي هي مصدر لمادة "رحم"، والفرق بين معنييهما ورد في رواية للإمام الصادق عليه السلام، قال:" **الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة**"[2] بمعنى: أن " الرحمن" اسم خاص بالله سبحانه، ولا يجوز لأحد التسمي به، وهو مظهر للرحمة العامة للعالمين، و" الرحيم" اسم عام، يصح لغيره تعالى التسمي به، وهو مظهر للرحمة الخاصة بالمؤمنين.

فتكون أُمناء الرحمن إما لجهة إيداعهم العلوم والآيات، وخزائن الأرض والسماوات، ويحفظونها عن التغيير والتبديل، وإما بقبولهم فيما عرض عليهم من الأعمال في المعاصي والطاعات، والرحمن صيغة مبالغة من الرحمة، ولا يطلق على غيره تعالى.

كما علوم القرآن الكريم عند الأئمة الأطهار عليهم السلام؛ لأنهم الأُمناء على الأسرار الإلهيّة، فأئتمنهم الرحمن على دينه من التغيير والتبديل والإندارس لعلمه تعالى أنهم يحفظونه.

([1]) سورة الأعراف/الآية:156.

([2]) مجمع البيان، ج1. 2، ص94؛ نور الثقلين، ج1، ص225؛ في تفسير البسملة من سورة الحمد.

ماهي الصفات التي جعلت أئمة أهل البيت عليهم السلام مؤهلين لأن يكونوا أُمناء الرحمن على العباد وسفرائه في البلاد بل على كل شيء من القرآن والشريعة وجميع الكائنات، ومأذونين لأن يتصرفوا في الأشياء مما يمكن التصرف فيه كيفما شاؤوا؟؟

الجواب يكون على أنحاء:

النحو الأول: إن الأئمة عليهم السلام معصومون من المعصية والخطأ والنسيان[1].

النحو الثاني: إنهم عالمون بجميع المصالح والمفاسد[2].

النحو الثالث: إنهم مظاهر الرّحمة الإلهيّة الواسعة وقد جعل لهم الولاية العامة[3].

النحو الرابع: أنهم أفضل من الملائكة الذين أوكل الله إليهم تدبير الأُمور وأشار إليهم بقوله: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [4].

النحو الخامس: إن الله تعالى قد ادبهم قبل أن يأتمنهم ويفوض إليهم الأمور وغدارة شؤون العالم.

النحو السادس: إن الأئمة عليهم السلام لا يقدمون على شيء ولا يقومون بعمل إلا بإرادة من الله تعالى[5].

من يراجع سيرة أهل البيت عليهم السلام يجد أن الله تعالى قد طهرهم من البخل والحسد والحقد والطمع وغيرها من الرذائل الخلقيّة التي تسبب في الخيانة في الأمانة... ورد عن الإمام علي

([1]) الصفار، بصائر الدرجات، ص123.

([2]) المجلسي، بحار الأنوار، ج26، ص138.

([3]) المصدر السابق، ج27، ص46.

([4]) سورة النازعات/الآية:5.

([5]) الكافي، ج1، ص441.

بن الحسين عليه السلام:" **لو أن قاتل أبي الحسين ائتمنني على السيف الذي قتله به لأديتّه إليه**"[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال :" **لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة**" [2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:" **إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر**" [3].

وعن أبي كهمس قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام، قال: **عليك وعليه السلام إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالزمه، فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدق الحديث وأداء الأمانة**"[4].

وأمناءَ المَلِكِ الدّيانِ **وأصفياءَ** الرّاحِمِ الرّحمنِ

17. سُلالَةَ النَّبِيّينَ

([1]) الصدوق، معاني الأخبار، ص108.

([2]) الكافي، ج2، ص104.

([3]) الكافي، ج2، ص104.

([4]) الكافي، ج2، ص104.

السلالة بالضم ما انسلَّ من الشيء، وهي مشتقة من المادة "سلل" بمعنى التحصيل والخروج من الشيء، كسلّ السيف من الغمد[1]، أي إنتزعته وأخرجته منه، والمراد به الولد؛ لأن الأولاد جزء من الآبا، فيطلق على الذكر سليل وعلى الأُنثى سليلة كما عن الأخفش[2]، فسلالة النبيين أولادهم بمعنى الخلاصة من الشيء[3].

وهم عليهم السلام من ذرية الأنبياء من آدم وشيث وإدريس ونوح وهود وإبراهيم وإسماعيل وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن نورهم كان في صلب آدم ينتقلون من صلب إلى رحم حتى أدّوه إلى صلب عبد المطلب، فانقسم منه إلى صلب عبد الله وأبي طالب عليهما السلام، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " **خلقت أنا وعلي من نور واحد**"[4].

والنبيين جمع النبي، فهو الذي يتلقى الوحي السماوي، فسلالة النبيين هم خلاصة الأنبياء وعصارتهم، وأنهم عليهم السلام مجامع تمام أوصاف الأنبياء وعلومهم وآياتهم ولوازم نبوتهم بما هي أصفى وأخلص مما كان لهم عليهم السلام.

فآل البيت عليهم السلام هم خلاصة الأنبياء عليهم السلام، وهم صفوة الصفوة من البيت الهاشمي والسلالة الطاهرة، فإذا كانوا سلالة وخلاصة للنبيين فإنهم خلاصة لجميع ما خلق الله تعالى.

وقد فسّر بهم عليهم السلام قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [5].

([1]) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج5، مادة"سلل".

([2]) إبن منظور، لسان العرب، ج11، ص239؛ المصباح المنير، ص286.

([3]) الطريحي، مجمع البحرين، مادة سلل، ص479.

([4]) الصدوق، الأمالي، ص307.

([5]) سورة آل عمران/الآيتان:33، 34.

وقد وردت به أحاديث متظافرة من الطريقين الخاصة والعامة تلاحظها في جملة من التفاسير والمصادر المهمة[1]، فهم بحق، سلالة الأنبياء وذرية الأزكياء من الشامخين أصلاباً، ومن الطاهرات أرحاماً، كما تلاحظ نسبهم السامي المنبثق من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة إبن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة إبن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2].

فهم خاصة ذرية النبوة في القرآن العظيم، وليس لأحد من أعاديهم هذا النسب الكريم، ومن هنا يظهر بطلان تلك الدعاوى التي مفادها أن بني اثمية من بني عبد مناف، وهذا كذب وافتراء محض.

يقول السيد علي الصدر قدس سره[3]: ولقد كذب من ادّعى أن بني أُمية من بني عبد مناف، إذ هم الشجرة الملعونة في الكتاب[4]، وهم من أخسّ الأحساب والأنساب، بل لم يكونوا من العرب أو من أهل الحسب والنسب؛ فإن جدهم أُمية كان غلاماً روميّاً تبنّاه عبد شمس بن عبد مناف، فصار لصيقاً به لا إبناً له، وهذا ظاهر لا خفاء فيه؛ لذلك لم يستطع معاوية إنكار ما كتبه إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه:" **ليس المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق**"[5].

خصوصاً وإن أُم معاوية كانت هند بنت عتبة التي حملت معاوية من أربعة أشخاص لم يكن منهم أبو سفيان حتى ينسب إليه، وصرح الزمخشري بأنه منسوب إلى أربعة لم يكن أبو

([1]) ينظر: غاية المرام، ص318؛ تفسير البرهان، ج1، ص171؛ تفسير الصافي، ج1، ص328.

([2]) المجلسي، بحار الأنوار، ج15، ص110؛ العقائد الحقة، ص233.

([3]) الصدر، علي، في رحاب الزيارة الجامعة، ص105.

([4]) سورة الإسراء/الآية:60.

([5]) بحار الأنوار، ج33، ص107.

سفيان مشتركاً معهم[1]، وكانت جدّة معاوية حمامة بغيّة من ذوات الرايات في ذي المجاز[2]، فلا يمكن أن يقع هؤلاء في سلسلة سلالة النبيين بل لم تخلص أنسابهم من الفاحشة والسفاح.

ومن هنا أن آل محمد عليهم السلام قد أعطاهم الله وآتاهم ما لم يعطى أحدٌ من العالمين من العطايا والفضائل والمحاسن وغيرها، وقد ورد: **آتاكم الله ما لم يؤتى أحد من العالمين**" ، وقد طأطأ الشرفاء أمام رفعة ومكانة وشرف آل محمد عليهم السلام [3].

فكانوا ينتاقلون من الأصلاب الشامخة والارحام المطهرة، ولم يتلوث آبائهم الاطهار عليهم السلام بالشرك أبداً، بل كانوا في جميع سلسلة مراتبهم من أهل التوحيد والإيمان، كما ورد هذا المعنى في فقرات زيارة وارث:" **أشهد انّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها**"[4].

ومما ينبغي الإشارة إليه في سياق خاتمة شرح هذه الفقرة أنه لا ريب لأحد في أفضلية النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من آبائه وسائر الأنبياء السابقين، وأن كونهم وسائط لتولده لا يقتضي أفضليتهم منه، كذلك الحال بالنسبة إلى الأئمة عليهم السلام، فمجرد الأُبوة والبنوة لا يكفي لأفضلية الأب من الأبن، وقد ثبت في آية المباهلة ان المراد من الأنفس هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكذلك في البنوة وهما الحسن والحسين عليهما السلام.

ويا **سُلالةَ النبيّينَ** الغُرَرْ بِنُورِكُم نُورُ هُدى الله طَهَرْ

([1]) ربيع الأبرار، ج4، ص275.

([2]) إلزام الناصب، ص166.

([3]) سوف يأتي في الفقرتين 281 و 282 من هذا الشرح لزيارة الجامعة.

([4]) الطوسي، مصباح المتهجد، ص721.

18. صَفْوَةَ الْمُرْسَلينَ

الصفوة مشتقة من المادة "**صفو**" بمعنى الخلوص من كل شوب[1]، وصفو الشيء خالصه[2]، والصفاء ضد الكدورة والنقاء من كل شوب، ومنها اشتقاق "**التصفية**" وهي تنقية الشيء وتخليصه من الشوائب. فالصفوة هم الخلاصة، والنقاوة، أو تكون الصفوة خياره وأحسنه[3]، وكونهم عليهم السلام مصطفى من طينة المرسلين مما نطقت به الأخبار[4]، والمرسلين جمع المرسل مشتق من المادة"رسل"، وهو الرسول مطلقاً من الإنس والملك، كما قال تعالى:﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[5]، والمرسلون في الإصطلاح هم من يتلقون الوحي الإلهي والمأمورون بإبلاغه للناس، والمرسلون هم أكمل من النبيين.

ومن هنا ثبت أن الأئمة عليهم السلام أفضل من الأنبياء والمرسلين ماعدا جدهم خاتم النبيين، كما ورد في رواية الإمام الصادق عليه السلام:" **ما نبيء نبي قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا**"[6].

وروى الشيخ الصدوق في رواية مفصلة عن الإمام علي إبن أبي طالب عليه السلام قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" **ما خلق الله خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال: علي عليه السلام فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا علي، ان الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل**

([1]) مقاييس اللغة، مادة "صفو".

([2]) المصباح المنير، مادة "صفو".

([3]) مجمع البحرين، ص54.

([4]) بصائر الدرجات، ص34.

([5]) سورة الحج/الآية:75.

([6]) بصائر الدرجات، ص51.

بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وان الملائكة لخدامنا وخدام محبينا. يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا تكون أفضل من الملائكة،وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه"[1].

فحاصل هذا الخبر وغيره من الأخبار في نفس السياق أن لكل نبي وظيفتين:

1. أن يعرف بنفسه أهل البيت عليهم السلام.

2. وأن يعرفهم الناس، ليعتقدوا بهم، وأن يُفضل أهل البيت عليهم السلام على من سواهم، ويعلم الناس تفضيلهم هذا، بل أخذ من الأنبياء الميثاق بالشهادة كما في حديث أبي الصباح الكناني[2].

وعليه يكون معنى صفوة المرسلين هو خلاصتهم الخالصة من كل خليط، وبما أن رسل الله سبحانه معصومون فهم لا يتصفون بغير الفضائل، فلا جرم أن تكون خلاصتهم وصفوتهم مثل ماء الورود، مستجمعة في ذاتها عطر فضائل تلك الورود، فأهل البيت عليهم السلام هم صفوة أنبياء الله تعالى، وفيهم خلاصة فضائلهم وزبدة فضلهم.

وآية الإصطفاء قد دلّت بشكل واضح، مضافاً لتفسيرها كما في كنز الدقائق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [3]، مثل حديث حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال:" ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال:" **نحن منهم ونحن بقية تلك العترة**"[4].

([1]) الصدوق، علل الشرائع، ج1ن ص5.

([2]) بحار الأنوار، ج26، ص285؛ المعالم الزلفى، ص303.

([3]) سورة البقرة/الآية: 33.

([4]) تفسير كنز الدقائق، ج3، ص71.

نعم من يراجع سيرتهم ومسيرتهم يجد أنهم قد تمثلت فيهم صفات الأنبياء وسنن المرسلين، فهم القائمون بوظائفهم والحافظون لشرائعهم والمروجون لتعاليمهم من بعدهم، أُولئك الأنبياء والرسل الذين كانوا بأنفسهم القدوة العليا للصفات الفاضلة، والمحاسن الكاملة[1].

وَقُلْ مُخاطِباً **أَصَفْوةَ الرُّسُلْ** في المُرسَلينَ نَهجُكُمْ خَيْرُ السُّبُلْ

19. عِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمينَ

عترة الرجل: نسله ورهطه وأُسرته وفصيلته، وعترة الرجل أخص أقاربه[2]، وفي النهاية: عترة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم .. أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلي وأولاده[3]، وهم أئمة الهدى عليهم السلام الذريّة المنتخبة من قبل الله رب العالمين من خيرة وذرية وعترة الأنبياء عليهم السلام، وهم صفوة الخلق وخلاصة الوجود، وقال إبن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه. قال: فعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد فاطمة البتول عليها السلام [4].

فهذه كلمات عدة من أعلام اللغويين في مفهوم "**العترة**"، وقد رأيت اتفاقهم على نسل الرجل وولده وذريته، وصرح بعضهم بأنهم علي وفاطمة وأولادهما، وفي هذا إشارة إلى الحديث النبوي الشريف القطعي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:" **إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله**

([1]) ينظر: الصدر، علي، في رحاب الزيارة الجامعة، ص106.

([2]) صحاح اللغة، ج2، ص735؛ المخصص، ج1، ص320؛ المصباح المنير، مادة"عتر".

([3]) النهاية في غريب الحديث، ج3، ص385.

([4]) لسان العرب، ج4، ص538.

وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض"[1].

وهذا الحديث من الأحاديث المصيريّة، والمهمة التي دونته عشرات المصادر السُنّية من كتب الحديث، والسُنَن، والتفسير، والتاريخ واللغة بصورة متواترة، فضلاً عن المصادر الشيعيّة، التي ذكرت الحديث بصورة متواترة أيضّاً.

فعن الصادق جعفر ابن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " **إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي** " من العترة؟ فقال: أنا، والحسن، والحسين، والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه[2].

وعن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: من العترة الطاهرة ؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عزوجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3]، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفون فيهما

([1]) الصفار، بصائر الدرجات، ص433.

([2]) الصدوق، معاني الأخبار، ص90.

([3]) سورة الأحزاب/الآية:33.

أيها الناس لا تعلموهم فإنهم اعلم منكم قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الأل أم غير الآل ؟ فقال الرضا عليه السلام: هم الآل...[1].

قال الشيخ الصدوق قدس سره:" والعترة علي بن أبي طالب وذريته من فاطمة وسلالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم الذين نص الله تبارك وتعالى عليهم بالإمامة على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهم اثنا عشر: أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي صلوات الله عليهم على جميع ما ذهبت إليه العرب في معنى العترة: وذلك أن الأئمة عليهم السلام من بين جميع بني هاشم ومن بين جميع ولد أبي طالب"[2].

ومن الواضح جداً ان مفهوم العترة هو أخص الأقارب وهم النسل والذرية والأولاد، وأن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم ولد فاطمة عليها السلام خاصة، وقد ذكر الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وإبن حجر في الصواعق، والملا علي القاري في المرقاة، والدهلوي في أشعة اللمعات، والمناوي في الفيض القدير:" أن العترة هم الأئمة منهم السادة لا غيرهم.. فأهل البيت عليهم السلام منهم أولى منهم بذلك، امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيه بقية قريش... ثم احق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك خصه صلى الله عليه وآله وسلم بما مرّ يوم الغدير.. والأظهر هو أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته، وبهذا يصلح أن يكونوا

([1]) الصدوق، عيون أخبار الرضا ع، ج2، ص208.

([2]) الصدوق، كما الدين وتمام النعمة، ص246.

مقابلاً لكتاب الله تعالى.. والمراد هنا من العترة أخص عشيرته وأقاربه، أي: أولاده وذريته... وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً[1].

والخيرة: هو المختار المنتخب والمصطفى[2]، بمعنى أن رسول الله هو خيرة رب العالمين، إختاره الله تعالى الذي هو المنشىء للخلق والمربي لهم والمصلح لشانهم والعالم بخيرهم.

"**رب**" هو في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام[3]، فيكون الرب بمعنى المالك والسيد والمربي والمدبر والمنعم، والربوبيّة تحمل معنى سوق الشيء إلى جهة الكمال وإزالة النقائص، بالتخلية أو التحلية[4]، فالرب هو من شانه تهذيب الأشياء من عيوبها وسوقها نحو الكمال.

"**العالمين**" جمع العالم: عالم الذر، وعالم الدنيا، وعالم الآخرة.

وعِترَةَ المُرسَلِ أحْمَـدَ النَّبيّ الهاشِمِيّ القُرَشِيّ العَرَبـي

خِيَرَةِ المَبعوثِ مِنْ رَبِّ البَشَرْ والعالمَينَ وهُوَ مالِكُ الأثَرْ

20. رحمة الله وبركاته

([1]) ينظر: الترمذي، نوادر الأصول، ص69؛ إبن حجر، الصواعق المحرقة، ج2، ص422؛ القاري، المرقاة في شرح المشكاة، ج5، ص600؛ الدهلوي، أشعة اللمعات في شرح المشكاة، ج4، ص681؛ المناوي، فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ج3، ص19.

([2]) المفردات في غريب القرآن، ص160؛ مجمع البحرين، ج3، ص296، "مادة خَيَر".

([3]) المفردات، ص184.

([4]) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج4، ص9، مادة"رب".

هذه الفقرة مقتبسة من الآية المباركة: ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[1]، والرحمة بمعنى العطف وجلب الفضائل الدينيّة والدنيويّة، والبركات: جمع بركة، مشتقة من مادة"برك" على وزن "برق"، وأصل "البرك" صدر البعير، فالبركة هي الخيرة والنماء والزيادة والسعادة[2]، والدعاء بالبركة يسمى تبريك، فعطف البركة على الرَّحمة يفيد تنمية رحمته لهم وزيادتها، والبركات الدنيوية، أو الأُخرويّة أو أعم منهما، إذاً يكون معنى"**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**" أنه بعدت عنكم المكاره وقربت منكم الفضائل وبركات الدنيا والآخرة[3].

إن المراد من طلب البركة ليس محض حصول النماء، بل دوامه وبقاؤه أيضاً.

من التعاليم الأخلاقيّة للدين الإسلامي أن لا يبقى الإحسان والمعروف بلا جزاء، فمن يحسن إليه عليه أن يسعى لرد الإحسان، وإن تمكن فليرده بأحسن منه وأوفى كما في قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[4]، وكما حصل أيضا في قصة النبيين شعيب وموسى عليهما السلام، فإن نبي الله موسى عليه السلام حينما سقى لإبنتي شعيب لم يكن يرد جزاءً ولا شكوراً؛ لكن النبي شعيب عليه السلام دعاه وجزاه أجر ما سقى لهما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ

([1]) سورة هود/الآية:73.

([2]) النهاية في غريب الحديث، ج1، ص120؛ لسان العرب، ج10، ص396.

([3]) روضة المتقين، ج5، ص461.

([4]) سورة النساء/الآية:86.

أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [1].

وفي التراث الروائي لآل البيت عليهم السلام منظومة متكاملة في السلام وآدابه[2]، وصيغه[3]، وفضله والآثار المترتبة عليه، وفضل المبتدأ[4] ووجوب الرد، والسلام على الصبيان[5]، والتسليم على النساء[6]، وترك السلام[7]، والتسليم على أهل الملل والنحل[8]، وغيرها.

وَرحمَة الله على وَجهِ الثَّرى **وَبَركاتُهُ** على هذا الوَرى

21. اَئِمَّةِ الْهُدى

"**أئمة**" جمع إمام، وهو مشتق من المادة"أمم"، بمعنى ما يُقصد ويُتوجّه إليه، قالوا:" كلّ مَن اقتدي به وقدّم في الأمور فهو إمام"، فيقصد به الدليل والهادي..، وهو الخليفة والمنصوب

([1]) سورة القصص/الآية22 وما بعدها.

([2]) الكافي، رقم الحديث: 3634، طبعة دار الحديث.

([3]) مجمع البيان، ج3، ص4.

([4]) الكافي، رقم الحديث: 3636، الخصال، ج1، ص39، ح67.

([5]) الخصال، ج1، ص301، ح12.

([6]) الكافي، رقم الحديث: 3657.

([7]) الخصال، ج1، ص 265، ح80.

([8]) الكافي، رقم الحديث: 3658.

من قِبل الله تعالى، والمفترض الطاعة على العباد، وهي الرئاسة العامة على جميع الناس في أُمور الدين والدنيا، ونائب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و"**الهدى**" والهداية تقابلان الضلال والضلالة، بمعنى بيان طريق الرشد والهداية والدلالة عليه[1]، والهداية بالأصل من الله تعالى[2]، وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغ هداه[3]، ومن الله تعالى تسأل الهداية[4]، والرسول هو الهادي[5]، والقرآن الكريم هاد[6]، وقال الكازراني: خلاصة معنى الهداية في الإستعمال الشرعي، الدلالة إلى الحق، والدعاء إليه، وإراءة طريقه، والإرشاد إليه، والأمر به[7].

والأئمة في كتاب الله عجل إمامان. أئمة النور وأئمة الظلام، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [8]لا بأمر الناس، يقدمون امر الله قبل امرهم وحكم الله قبل حكمهم، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [9] يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عجل[10]، فالإمامة ليست خاصة

([1]) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة"هدى"؛ الفراهيدي، كتاب العين، مادة" أمم".

([2]) سورة الفرقان/الآية:31.

([3]) سورة البقرة/الآية:120.

([4]) سورة الحمد/الآية:5؛ سورة الأعراف/الآية:178.

([5]) سورة الشورى/الآية:52.

([6]) سورة الإسراء/الآية:9.

([7]) عبد اللطيف، مرآة الأنوار، ص227.

([8]) سورة الأنبياء/الآية:73.

([9]) سورة القصص/الآية:41.

([10]) الكافي، ج1، ص616.

بقادة المهتدين والراشدين، بل تشمل قادة الضالّين أيضاً[1]، وأن أكثر الموارد القرآنيّة في استعمال "الإمام" في أئمة النور والقادة الربانيين، ومن وصف" الأئمة" في هذه الفقرة، يتبين أن أهل البيت عليهم السلام أئمة نور وهداة إلى الخير.

فيكون المراد بهذه الفقرة انهم عليهم السلام هم أئمة الهدى والهادون بالهدى، وهم المهديون من الله والهادون بالله إلى الله تعالى فيوصلون إلى المطلوب وإلى ما يوصل إليه، بل هم المطلوب، وهم الرؤوساء عامة من قبل الله تعالى ونواب النبي في امور الدين والدنيا، فتكون الهداية هي التي تقتدي بهم والناس تأخذ الهداية منهم، ومن تركها وأعرض أو تخلف عنها فقد هلك، ومن هنا جاء في بعض فقرات:" **من آتاكم نجا ومن لم يأتكم هلك**"[2]، وفي حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى:" فمن أتاهم اهتدى، ومن تركهم سلك طريق الردى[3].

ورد في رواية الفضيل قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [4]، فقال عليه السلام:" **كل إمام هاد للقرآن الذي هو فيهم**"[5].

([1]) الإمام المؤتم به إنساناً كأن يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك، محقاً كان أو مبطلاً، ينظر: مفردات غريب القرآن ، مادة أمّ.

([2]) سوف يأتي شرحها والتعليق عليها في شرحنا هذا لزيارة الجامعة الكبيرة.

([3]) القندوزي، ينابيع المودة، ص62؛ إحقاق الحق، ج4، ص59.

([4]) سورة الرعد/الآية:7.

([5]) الكافي، ج1، ص191، في باب أن الأئمة عليهم السلام هم الهداة.

وروى عبد الرحيم القصير عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال عليه السلام:" **رسول الله المنذر وعلي الهادي، أما والله ما ذهب منا وما زالت فينا إلى الساعة**"[1].

وفي بطون الكتب الحديثيّة يجد القارئ الكثير من قصص في هداية أهل البيت عليهم السلام للناس وإرشادهم إلى طريق الهدى والدليل والبرهان، سيما الذين انحرفوا عن خط الإسلام المحمدي الأصيل، أنظر مثلاً إلى ما كتبه الحسن البصري[2]، إلى الإمام الحسن الزكي عليه السلام: أما بعد فأنتم أهل بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأن الله جعلكم الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يلجئ إليكم اللاجئ، ويعتصم بحبلكم الغالي، من اقتدى بكم اهتدى ونجا، ومن تخلف عنكم هلك وغوى، وإني كتبت إليك عند الحيرة واختلاف الأمة في القدر، فتفضي إلينا ما أفضاه الله إليكم أهل البيت فنأخذ به. فكتب إليه الحسن بن علي عليهما السلام: " **أما بعد فإنا أهل بيت كما ذكرت عند الله وعند أوليائه، فأما عندك وعند أصحابك فلو كنا كما ذكرت ما تقدمتمونا ولا استبدلتم بنا غيرنا، ولعمري لقد ضرب الله مثلكم في كتابه حيث يقول: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي**

([1]) الكافي، ج1، ص192؛ الحسكاني، الحاكم، شواهد التنزيل، ج1، ص293؛ وينظر كتب التفسير: الطباطبائي، الميزان، ج11، ص328؛ الرازي، تفسير، ج5، ص271؛ السيوطي، الدر المنثور، ج4، ص307؛ الطبري، تفسير الطبري، ج13، ص108؛ الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص70، وغيرها من التفاسير.

([2]) الحسن البصري: هو ابن يسار، أبو سعيد بن أبي الحسن البصري الأنصاري، مولى زيد ابن ثابت الأنصاري، أخو سعيد وعمارة، أمهم خيرة مولاة أم سلمة زوجة النبي. مات في رجب سنة 110 وله 89 سنة. قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في حق الحسن البصري: إن لكل قوم سامرياً, وهذا سامري هذه الأمة، أما أنه لا يقول: لا مساس، ولكنه يقول: لا قتال، قاله بعد قتال أهل البصرة كما في احتجاج الطبرسي في احتجاجه عليهم. وبالجملة كان منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام مذموماً عندهم، وكان مخلطاً في عقائده.

هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [1] هذا لأوليائك فيما سألوا ولكم فيما استبدلتم، ولولا ما أريد من الإحتجاج عليك وعلى أصحابك ما كتبت إليك بشيء مما نحن عليه، ولئن وصل كتابي إليك لتجدن الحجة عليك وعلى أصحابك مؤكدة، حيث يقول الله ﷻ: ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[2] فاتبع ما كتبت إليك في القدر فإنه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله فقد فجر، إن الله ﷻ لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولا يهمل العباد من الملكة، ولكنه المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة لن يكون عنها صادا مثبطا، وان ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها ولا كلفهم إياها جبرا، بل تمكينه إياهم وإعذاره إليهم طرقهم ومكنهم فجعل لهم السبيل إلى أخذ ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه، ووضع التكليف عن أهل النقصان والزمانة والسلام"[3].

ومن هنا ينبغي القول بان من لوازم كونهم عليهم السلام أئمة الهدى اهتداء أتباعهم وضلالة من خالفهم، وأن يكون الأوّلون سعداء ناجين، والآخرون أشقياء هالكين، وقد ضلوا؛ لأن قد ضل من فارقهم، ونجا من تمسك بهم، "**ومن أتبعهم فالجنة مأواه، ومن خالفهم فالنار مثواه**" كما في الزيارة الجامعة وسوف يأتي التعليق على هذه الفقرة من الزيارة.

([1]) سورة البقرة/الآية: 61.

([2]) سورة يونس/الآية:35.

([3]) المجلسي، بحار الأنوار، ج10، ص136؛ الحراني، إبن شعبة، تحف العقول، ص231؛ العلامة الحلي، العدد القوية لدفع المخاوف اليوميّة، ص32.

فكما ان الائمة عليهم السلام هداة للخلائق تكويناً، فهم وسائط الفيض الإلهي وببركتهم الوجود كله وهداة للبشر تشريعاً، وبتزكيتهم وتعليمهم المعارف والأحكام وحفظهم من الإنحراف والضلال وإيصالهم إلى الكمال المطلوب.. ومن أجل الهداية ـ بكلا المعنيين ـ تكويناً وتشريعاً لجهة التنصيب بالإمامة وجعلهم هداة البشرية[1].

يا زائِراً قِفْ وقُل **السَّلامُ** على **أئمةِ الهُدى** يُقامُ

22. مَصابيحِ الدُّجى

كلمة" مصابيح" جمع "مصباح"، مشتقة من المادة"صبح"، بمعنى انكشاف في ظلمة ماديّة أو معنويّة وحصول تنور ظاهري أو باطني، ومن مصاديق الاصل ظهور الفجر بذهاب الليل. والمصباح ما يكون به التنور وانكشاف الظلام[2].

و"الدجى" جمع " دجية" مشتقة من المادة" دجى" بمعنى الإنتشار، دجى الإسلام أي قوي وألبس كل شي، ودجى الليل إذا غطى كل شيء بسواده[3]، وليل داجٍ .. من دجى الليل دجواً إذا أظلم وتمت ظلمته[4]، فعلى هذا يكون " مصباح الدجى" ما تنكشف به الظلمة ويزول الظلام، سواء كان مصباحاً ماديّاً أو معنويّاً.

([1]) الميلاني، مع الأئمة الهداة..، ج1، ص236.

([2]) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة "صبح".

([3]) إبن منظور، لسنان العرب، مادة" دجى".

([4]) بحار الأنوار، ج84، ص188.

لا بد للإنسان المؤمن أن ينور قلبه بالإستعانة بمصباح، والمصباح هو نور هداية الأئمة عليهم السلام، وكما أن المستصبح يتبع نور المصباح ليرى الطريق السالكة، فطالب الحقيقة يجب ان يستصبح بهداية الأئمة عليهم السلام في سيره ومسيرته في دنيا عالم الظلام.

ومن يراجع الأخبار والروايات يجد أن الأئمة عليهم السلام قد خلقوا من نور واحد، ولكنهم في أربعة عشر مصباح، ولهذه الجهة أن كلمة" مصابيح" هي صيغة جمع وكثرة، ومع ذلك هذا لا ينافي وحدة نور الأئمة عليهم السلام؛ لأن المتعدد هو المصباح، وليس النور المنبعث، وإلى هذا المعنى ذكر العلامة الشيخ عبد الله الآملي مثالاً للتوضيح فقال: إن المصباح الكهربائي الذي يحول الطاقة إلى نور ربما عطب، فيؤتى بمصباح ىخر، فيقوم بالدور نفسه؛ لأن الطاقة المحولة لم تتغير في المصباحين، والذي تعدد هو المصباح، وهو أداة لتجلي النور، وليس هو النور الكامن في الطاقة؛ ولذا تتعدد المصابيح وتختلف باختلاف الأزمان والأمكنة والحاجات، فمنها الكبير والصغير والأخضر والأبيض، وغير ذلك من الحالات؛ لكنّ النور نفسه يبقى في الكلّ واحداً، وإن تجلى بألوان مختلفة، ومن هنا كان للأئمة عليهم السلام تجليات بمظاهر مختلفة بحسب مقتضيات الزمان والمكان، فتارة في الصبر، وتارة في الصلح والمسالمة، وتارة في الثورة الدامية، وتارة في الدعاء والعبادة، وتارة في التبليغ وتعليم الحِكم والمعارف والتربيّة، وتارة في الإبتلاء بالسجن و... فحقيقة هذه الإمامة شيء واحد، ولها غاية واحدة، وهي هداية الخلق وتنوير عقول الناس، وسوق البشريّة إلى الله سبحانه؛ لكنها تتمظهر بمظاهر متعددة تفاعلاً مع مقتضى كل زمان وأحداثه[1].

وروى سهل الهمداني عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة من سورة النور:

([1]) ينظر: الآملي، أدب فناء المقربين...، ج1، ص325. بتصرف.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [1].

قال الإمام عليه السلام: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ الحسن عليه السلام ﴿ الْمِصْبَاحُ ﴾ الحسين عليه السلام ﴿ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ فاطمة كوكب عليها السلام دري بين نساء أهل الدنيا ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ إبراهيم ﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ يكاد العلم يتفجر منها ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يهدي الله من يشاء للأئمة عليهم السلام ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ [2].

والشاهد من هذه الآية الكريمة هو كلمة المصباح الذي يمكن أن يكون كناية عن دور الإرشاد والهداية للمجتمعات الإنسانيّة، وإثارة دفائق عقولهم وإنارتها من ظلمة الجهل والكفر إلى عالم النور والإيمان والعلوم والمعارف.

ومنه قول الإمام علي عليه السلام:" **فزهر مصباح الهدى في قلبه**"[3].

وفي حديث عبد العزيز بن مسلم، عن الإمام ثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه السلام قال فيه:" **الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالَم وهي في الأفق، بحيث لا تنالها**

([1]) سورة النور/الآية:35.

([2]) الكافي، ج1، ص195؛ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج3، ص602؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج23، ص304.

([3]) نهج البلاغة، ج1، ص101؛ عيون الحكم والمواعظ، ص156، بحار الأنوار، ج2، ص56.

الأيدي والأبصار، الإمام البدرُ المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى"[1].

وعن الإمام الحسين بن علي عليه السلام قال:"**دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : مرحبا بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرض،** فقال له أبي: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟ **فقال له: يا أبي والذي بعثني بالحق نبيا إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض فإنه مكتوب عن يمين العرش مصباح هاد وسفينة نجاة**"[2].

وقُلْ على نُورِ **مَصابِيحِ الدُّجى** حَقَّاً **وأعلامِ التُّقى** والمُرتَجى

23. اَعْلامِ التُّقى

الأعلام جمع العَلَم قال الراغب: العَلَم الأثر الذي يعلم به الشيء، كعلم الطريق وعلم الجيش، وسميَّ الجبل علماً لذلك، وجمعه أعلام، والتقى أسم من وقى يقي وقايةً، فهو والتقوى بمعنى واحد، والتقوى جعل النفاس وقاية مما يخاف.. وصار في تعارف في الشرع: حفظ النفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور[3].

إن آل محمد صلى الله عليه وآله هم أعلام للتقى؛ لأنهم طاهرون مطهرون، فكل أفعالهم وتروكهم علامة لمعرفة ما هو موافق للتقوى وما هو منافٍ أو غير موافق، فهم الميزان والمعيار للتقوى،

([1]) الكافي، ج1، ص200.

([2]) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، 265

([3]) المفردات في غريب القرآن، ص343، ص530.

ولهذه الجهة كان دور آل البيت عليهم السلام في هذه الحياة هو وقاية المجتمع والأفراد من المخاطر والمآثم.

إن كونهم عليهم السلام "**أعلام تقى**" يفيد بلوغهم أعلى المراتب والمنازل، وإلا لما نصبوا لهذا المنصب الرفيع والعظيم، فهم الهادون إلى التقى كالمنار المنير، وقد أشارت بذلك الآية الكريمة: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [1]، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله والعلامات هم الأئمة عليهم السلام [2].

فهم أعلام التقى لشيعتهم ولغيرهم ولجميع بني البشر لجهة الإطلاق، وحياتهم الكريمة حافلة بمشاهد جليلة من هذا القبيل، لمن يطالع في سيرتهم ومسيرتهم فإنه يجدهم أتقى المتقين وسادة أهل التقوى واليقين، فلا تعرف التقوى إلا منهم، ولا يؤخذ إلا عنهم، وما أكثر وصيتهم بها، وحثهم عليها، وسوقهم الناس إليها، فكانوا أعلام التقى بحق وحقيقة باعتراف الأعداء قبل الأحباء والأوداء.

وفي حديث النوفلي عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه وأجداده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: حدثني اخي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سره ان يلقى الله عز وجل وهو مقبل عليه غير معرض عن فليتوالك يا علي... هؤلاء أئمة الهدى وأعلام التقى[3].

([1]) مجمع البيان، ج2، ص808؛ والآية الكريمة في سورة التغابن:16.

([2]) الكافي، ج1، ص206.

([3]) بحار الأنوار، ج27، ص107.

وروي عن الفضيل بن يسار عن الإمام الباقر عليه السلام:" **إن الله نصب علياً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكر كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشكراً، ومن جاء بولايته دخل الجنة**"[1].

من ينظر إلى اهتمامات الدول والمنظمات الحكوميّة والإنسانيّة في كافة المجالات يجد أنهم يجعلون شعارات وعلامات معينة تفهم وظائفها ودلالاتها كالمرايا العاكسة والعلامات المروريّة والإنارة في الطرق المظلمة والتحذيرات لسائقي السيارات من الأخطار بسبب المنعطفات والمنزلقات وتساقط الصخور والتحذيرات الصحية وغيرها، مهما كانت هذه الأخطار كبيرة فإن هناك أخطاراً أكثر خطراً وشدة وهلاكاً منها، وقد بين الشارع المقدس هذه الأخطار وحذر منها عبر الأنبياء والرسل وأوصيائهم الأئمة عليهم السلام فهم الأعلام للتقوى والهادية من منزلقات الفتن والموبقات والمفاسد وارتكاب المحرمات بكل صورها وأشكالها.

24. ذَوِى النُّهى

ذوي جمع ذي بمعنى الصاحب، فذوي بمعنى أصحاب، والنهى بالضم جمع نُهية، وهي العقل الناهي عن القبائح، يعني أنهم عليهم السلام أصحاب العقل الكامل النافذ، ووجه التسمية هو أن العقل يردع الإنسان وينهاه عن الرذائل والقبائح، كما أنهم تنتهي إليهم علوم كل الخلق.

([1]) الكافي، ج1، ص437.

وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ [1] كما في حديث عمار [2] فقد فسرت بالأئمة من آل محمد عليهم السلام، حيث قد بلغوا القمة في العقل، وكانوا شادة عقلاء [3].

وروى الشيخ الصفار بإسناده عن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ قال: نحن ـ والله ـ أُولوا النهى [4].

ورد في الحديث: " **خياركم أُلوا النهى**"[5]، وهم كما ورد أيضاً: " **أُولوا الأخلاق الحسنة**"[6]، وورد في استشارة ذوي النهى كما في حكم امير المؤمنين عليه السلام: " **من استشار ذوي النهى والألباب فاز بالحزم والسداد**"[7]، "**شاور ذوي العقول تأمن الزلل والندم**"[8]،" **من استعان بذوي الألباب سلك سبيل الرشاد**"[9].

فكأن الإمام الهادي عليه السلام يريد أن يقول: أنهم عليهم السلام كما كانوا أعلام التُقى لا يمكن التقوى إلا بمعرفتهم في السر وتقليد الرقاب بطاعتهم في العلانيّة لا يمكن الورع والتحرر عن الشرك والإنتهاء عن الفحشاء والمنكر والبغي والحسد والحقد إلا بمعرفتهم في السر وتقليد الرقاب بطاعتهم في العلانيّة؛ لأن مبادئ كل النهي عندهم عليهم السلام.

([1]) سورة طه/الآية:128.

([2]) بحار الأنوار، ج24، ص118.

([3]) كنز الدقائق، ج8، ص372.

([4]) بصائر الدرجات، ص518.

([5]) الكافي، ج2، ص240.

([6]) وسائل الشيعة، ج15، ص191.

([7]) شرح غرر الحكم، ج4، ص95.

([8]) المصدر نفسه، ج4، ص396.

([9]) المصدر نفسه، ص179.

قال أمين الإسلام الطبرسي:" وإنما قيل لأولي العقول"**أولوا النّهى**" لأنهم ينهون الناس عن القبائح"[1].

25. أُولِى الْحِجى

أُولوا هو أُسم جمع كالقوم والطائفة والأصحاب ومعناها ذوو؛ و" **الحِجى**" بكسر الحاء تأتي بمعنى العقل[2] والفطنة، أو العقل الحاجب عن التعرض للهلاك، دنُياً ودِيناً، فتكون معنى الفقرة إن أهل البيت عليهم السلام أصحاب العقل والفطنة والعقول الكاملة كما كان جدهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الإمام علي عليه السلام:" **فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى**"[3]، وفي الحديث:" **من بات على ظهر بيت ليس عليه حجا فقد برئت منه الذمة**"[4] أي ليس عليه ستر يمنعه من السقوط وإنما أتى بالجمع في النهى.

ومن الحجا أي الستر؛ لأنه يستر عيوب بحسن نظره أو يمنعه عن فعل ما تبدو به عورته فهو يستره لمنعه عن الكشف فهم عليهم السلام بهذا المعنى، وقيل غير ذلك كما ذهب غير واحد من شراح الزيارة الشريفة[5].

([1]) الطبرسي، مجمع البيان، ج6 .7، ص21.

([2]) الفيومي، المصباح المنير، ص123.

([3]) خطب الإمام علي عليه السلام، خطب نهج البلاغة، ج1، ص31.

([4]) الكليني، الكافي، ج7، ص278.

([5]) الأحسائي، شرح الزيارة الجامعة، ج1، ص137.

ثم إن العقل هو محيط بكل قوى الإنسان، ومشرف عليها، وملازم لهان وهو الوحيد من بين قوى الإنسان الجدير بالقصد والعناية الخاصّة وتحرّي متابعته في كلّ الأمور.. وهو من النعم الإلهيّة التي يتنعم بها البشر كافة في أصل خلقتهم.. واختصت هذه الفقرة من الزيارة بذكر إحدى أعظم كمالاتهم عليهم السلام، وهي العقل الكامل الفريد من نوعه، ولذا كانوا ذوو العقل الكامل[1].

وعند قراءة القرآن الكريم، ومطالعة الأحاديث الشريفة يتبين إن العقل له عدة أسماء، **الأول:** العقل: وسميّ العقل بذلك لأنه يعقل الإنسان ويمنعه من فعل القبائح، وقد دلت جملة من الروايات على هذا المطلب[2]، **والثاني:** القلب وسميّ بذلك لسرعة تقلبه وتحوله في تفاعله مع الأفكار والأطروحات، وقد وصف القرآن الكريم القلب بالفهم وعدم الفهم قال تعالى:﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [3]، ويراد من هذا القلب هو القوة التي تتمتع بالإدراك والتفكير، **والثالث:** النُهية، وسميت بذلك لنهيها الإنسان عن القبيح[4]، **والرابع:** الحِجر: وهو المنع والإحاطة على الشيء[5]، **الخامس:** الحجا، وسميّ بذلك لإحاطته قوى الإنسان وملازمته لها، وهو مرتبة أعلى وأكمل من العقل، **والسادس:** اللُّب، لبُّ كلّ شيء ولبابه خالصه وخياره.. ولبّ كل شيء

([1]) الجوادي، عبد الله، أدب فناء المقربين، ج2، ص16.

([2]) المجلسي، بحار الأنوار، ج1، ص117.

([3]) سورة الأعراف/الآية:179.

([4]) الإصفهاني، مفردات غريب القرآن، مادة(نهى).

([5]) إبن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (حجر).

من الثمار داخله الذي يطرح خارجه، نحو لبّ الجوز واللوز[1]، وسميّ العقل لباً؛ لأنه أنفس ما في الإنسان، فما عداه من الأجزاء كأنّها قشر لصيانته[2].

ومن يتصفح في المجاميع الحديثيّة وكتب الأخبار يجد منظومة متكاملة في تحديد مكانة العقل[3]، وآثاره الحسنة الإيجابيّة[4]، وسلبيات غيابه كما إذا أُعجب الإنسان بفعله فإنه سوف يصاب بعقله، وهكذا بقية الأخبار الواردة في نفس السياق[5]، وكذلك ما جاء في دعاء الإمام السجاد عليه السلام:" **اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك..... ورأيت أنّ طلب المحتاج إلى المحتاج سفهٌ من رأيه وضلّة من عقله**"[6].

وبالتالي يتبين أن عقل أهل البيت عليهم السلام يستوعب كل أوامر الله ونواهيه، وكل خلق الله تعالى، فهو يستوعب كل ما في الكون من مخلوقات، حتى العرش وما تحته، والملكوت، فالحجى يستوعب جميع الكتب الإلهيّة المنزلة، بمعنى انهم عليهم السلام يستوعبون كتاب الله

([1]) إبن منظور، لسان العرب، مادة(لبب).

([2]) الجوادي، مصدر سابق، ص19.

([3]) شرح غرر الحكم، ج4، ص374؛ ج1، ص13، ج3، ص420، ج6، ص385، ج3، ص234، ج4، ص532؛ نهج البلاغة، الحكمة 107، بحار الأنوار، ج1، ص96، أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، وكتاب العلم أو كتاب فضيلة العلم، تحف العقول، ص450.

([4]) المجلسي، بحار الأنور، ج1، ص132؛ شرح غرر الحكم، ج1، ص116، ج6، ص310، ج5، ص269، ج3، ص75، ج4، ص229، نهج البلاغة، الحكمة 235.

([5]) شرح غرر الحكم، ج1، ص95، ص250، ج3، ص109، ج4، ص92، ص101، ج5، ص293، 320، ج2، ص477، ج5، ص339، ج6، ص17؛ نهج الفصاحة، ج2، ص663، نهج البلاغة، الخطبة239، الحكمة98.

([6]) الصحيفة السجاديّة، الدعاء رقم28.

التكويني، وكتابه التشريعي، وكل الأشياء الصادرة منه، فإن أولي الحجى هم الوعاء الذي يستوعب جميع هذه الأمور، وليس كالعقول الأخرى كما هو حال عقولنا نحن القاصرة عن إدارك هذه الأشياء.

وَقُلْ على **ذَوي النُّهى** والنُّجَبا **أُولي الحِجى** الهُداةِ من آلِ العَبا

26. كَهْفِ الْوَرى

الكهف هو الملجأ والملاذ الآمن، والبيت المنقور في الجبل، ويقال فلان كهف؛ لأنه يُلجأ إليه، والورى على وزن فتى بمعنى الخلق وهم الخلائق أجمعين من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدين، ومنه دعاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام في التضرع والإستكانة:" **يا كهفي حين تعييني المذاهب**"[1] أي ملجئي وملاذي حين تعجزني مسالكي إلى الخلق وتردّداتي إليهم. فهم عليهم السلام الملجأ في الدين والدنيا والآخرة [2]، وقد ورد في زيارة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك:" **كنت للمؤمنين كهفاً وحصناً**"[3]، وقد جاء في بعض الأخبار عن علي عليه السلام" **أجعل الدين كهفك**"[4]، وقد ثبت أن حقيقة الدين ولبه هو ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبدونها ينتفي الدين، ومن لا دين له لا كهف له، وفي الرواية قال الإمام الصادق عليه السلام لمحمد بن الحسن بن شمعون جواباً لرسالته:"

([1]) الصحيفة السجاديّة، رقم الدعاء 51.

([2]) مجمع البحرين، مادة "كهف"، ص420.

([3]) إبن طاووس، الإقبال؛ القمي، مفاتيح الجنان.

([4]) النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل، ج11، ص319.

نحن كهفٌ لمن التجأ إلينا"[1]، وورد عن علي عليه السلام وهو يعرف نفسه:" **أنا علم الهدى وكهف التقى**"[2]، وقد استلهم إبن عباس منه جوابه لمعاوية حينما سأله: فما تقول في علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال:... كان والله علم الهدى، **وكهف التقى**"[3]، وورد في ذكر فضائل كل واحد من الأئمة عليهم السلام كما جاء في فضائل الحسين بن علي عليه السلام في كونه: "**وأما الحسين فإنه مني... وكهف المستجيرين**"[4]، وجاء في أوصاف الإمام الباقر عليه السلام في كونه:" **وباقر علم الاولين والآخرين... وكهف الخلق أجمعين**"[5]، وفي دعاء يوم عرفة:" **اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك... فهو... كهف المؤمنين**"[6].

ويقول السيد علي الصدر قدس سره:" **وقد التجأ ولاذ بهم أعاظم الخلق وأكابر المخلوقين من لدن سيّدنا آدم عليه السلام، وهم الملجأ إلى آخر العالم، وإلى القيام الأعظم**"[7]، وفي بطون الكتب الحديثيّة منظومة متكاملة في التجاء الأنبياء عليهم السلام مع أُممهم إليهم، والتجاء الخلائق إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم والمرسلين وآله المنتجبين عليهم السلام، والشواهد على ذلك كثيرة كما في حديث معمر بن راشد، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قصة لقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحد رجالات اليهود، وما جرى من حوار في أفضليته على سائر الأنبياء [8].

([1]) المجلسي، بحار الأنوار، ج50، ص299، ج69، ص44.

([2]) المجلسي، بحار الأنوار، ج25، ص32.

([3]) المصدر السابق، ج44، ص113.

([4]) المصدر السابق، ج28، ص39.

([5]) المصدر السابق، ج92، ص231.

([6]) الصحيفة السجاديّة، دعاء عرفة.

([7]) الصدر، علي، في رحاب الزيارة الجامعة، ص123.

([8]) المجلسي، بحار الأنوار، ج26، ص319.

وفي نسخة كتاب البلد الأمين جاءت هذه الفقرة بصيغة الجمع: "**وكهوف الورى**"[1]، وجاء بعدها "**وبدور الدنيا**"، ويشير السيد جلال الدين الحسيني(المحدث) في مقدمة تحقيقه على كتاب المحاسن للبرقي لقصيدة له، والتي جاء فيها:

هم كهوف للرعايا * في العويصات الأوابي [2]

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:" **كهوف كتبه**" أي أنهم عليهم السلام كهوف علومه ومخازن غيوبه[3]، ولكن الإنصاف والأصح هو " **كهف الورى**" بالمفرد للإشعار بأنهم بمنزلة بيت واحد في اللجوء إليه، فمن التجأ إلى واحد منهم، فكأنه التجأ إلى الكل، ولا يتم ذلك إلا بالإقرار بهم جميعاً، فمن أعترف بإمامة بعضهم فقط ولجأ إليهم ـ **كمن يعترف بإمامة الأئمة المتقدمين من علي والحسن والحسين**عليهم السلام ـ، وينكر الأئمة المتأخرين ـ **كالسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي**عليهم السلام ـ فلا ينفعه في شيء، ولذا يمكن القول بكل ثقة ويقين ثابت فساد وبطلان وانحراف عقيدة كل من خالفهم عليهم السلام على نحو المجموع، أو بنحو الأفراد، كما هو حال الفرق التي انحرفت عنهم، وأنكرت منزلتهم، وكانت على ريب وشك وشبهة من ولايتهم وإمامتهم كالزيديّة، والواقفيّة وبقية الفرق الأخرى التي هي في نفس الإتجاه؛ لأن المطلوب هو الإقرار بهم جميعاً، بنحو المجموع[4].

وبعبارة أُخرى إذا كنت تريد الإتصال بشخص ما، وعند القيام بعملية خزن رقم هاتفه قمت بحذف أحد الأرقام فإنك في مثل هذه الحالة لن تتمكن من الإتصال والتواصل مع من

([1]) الكفعمي، البلد الأمين، ص316.

([2]) البرقي، المحاسن، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، 1330، ج1، ص54.

([3]) المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج8، ص386.

([4]) الطباطبائي، محمد بن عبد الكريم، الأعلام اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، ص124.

تطلبه، إلا أن تقوم بالإلتجاء إلى إضافة الرقم المحذوف، فإذا كانت العمليّة التواصليّة بين الأفراد في العالم الإفتراضي عبر شبكة الإنترنيت، وعبر التطور الهائل في عالم الإتصال هي هكذا وبهذه الكيفية والآلية المتبعة فكيف بمن فقد أحد الحلقات والأرقام فضلاً عن جميعها ـ وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ التي تجعله متصلاً بالغيب وعالم الآخرة والعرش وبالله تعالى!؟.

ومن هذا المنطلق نقول حالنا اليوم كحال قصة أصحاب الكهف والرقيم، يجب علينا الإلتجاء إلى هذا الكهف حتى ننجو في دنيانا وآخرتنا، بل يجب رجوع جميع المخلوقات إلى كهفهم الحصين، فهم ليسوا كهفاً لشيعتهم ـ **وهم المصداق الأتم** ـ والفتية الذين أمنوا بربهم فحسب. كما هم فتية أصحاب الكهف، بل هم عليهم السلام كهف الورى لكافة الخلائق أجمعين، فهم كهف للإنس والجن والملائكة بلا استثناء كما هو ثابت في كلمات العرب.

يقول السيد علي الميلاني:" **إن كل البرايا وبحسب قوانين خلقتها لابد وأن يكون لها ما تفزع إليه وتلجأ وتستنجد به، حينما يداهمها ما لا تطيقه، ليكون كهفها الحصين الذي يخرق القوانين الطبيعيّة ولا يتقيد بحدودها إذا ما لزم الأمر، وهم النبي والأئمة عليهم السلام، حيث لا يحدّهم وجودهم في هذا العالم عن الحضور وتسيير الأُمور في عوالم أخرى، ولا يخضعون لموازين ما قبل وما بعد الموت إذا أرادوا التصرف في هذا الكون**"[1].

ويقول الشيخ علي الهمداني:" **يلزم للكهف الإستحكام كي يُحفظ من يدخل فيه، فكون أهل البيت عليهم السلام كهف الورى يلزم لهم ذلك، وإلا لم يكونوا كهفاً ولا يحفظ فيه الداخلون، فحيث إنهم مظاهر حكمة الله الفعليّة، فلهم إتقانٌ وثبات ليس فوقه شيء أتم منه يوجد**

([1]) الميلاني، علي، مع الأئمة الهداة في شرح الزيارة الجامعة، ج1، ص254.

في غيرهم، فيلزم للخلق أن يدخلوا في هذه الكهوف الإلهيّة المُتقَنة، فتبين كهفيتهم للورى"[1].

ويظهر من خلال الروايات والأخبار والمشاهد والمواقف أنهم كهف الورى مع كونهم قد انتقلوا إلى عالم ملكوتهم ظاهرياً بارتحالهم عن عالم الدنيا، وهذا ما يتجلى في زيارة مشاهدهم الشريفة وأضرحتهم المباركة، وقد قال أبو علي الخلاّل:" **ما همني أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب**"[2]، وقال إبن حجر العسقلاني:" **سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر إبن خزيمة وعديلة أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا، وهم إذ ذاك متوافرون، إلى زيارة قبر علي بن موسى الرّضا بطوس، فرأيت من تعظيمه ـ يعني إبن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا**"[3].

وما أكثر من يأس منهم وعجز الأطباء عبر العصور المختلفة في معالجة أمراضهم المستعصيّة، وقد أيقنوا بعجزهم، فتوجهوا لاجئين إلى كهوف الورى عليهم السلام عارضين شكواهم إليهم، وقد رجعوا من أضرحتهم ومشاهدهم الشريفة معافين مشافين من أمراضهم وعللهم، وقد غمرتهم الألطاف والعنايّة الإلهيّة بواسطة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وهم كهف الورى كذلك في دفع المشكلات العلميّة، فلقد واجه الكثير من الفقهاء من علماء الدين، ومراجع التقليد الكثير من المآزق والأزمات خلال أدوارهم ومسيرتهم الحياتيّة والعلميّة، وقد أعلنوا عن عدم إيجاد حلول بالطرق والوسائل المتاحة كالمطالعة والمثابرة

([1]) الهمداني، علي نظامي، المعارف الرافعة في شرح الزيارة الجامعة، ص114.

([2]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص120.

([3]) العسقلاني، إبن حجر، تهذيب التهذيب، ج7، ص339.

والتحقيق والتحليل والنظر في الأدلة والمستندات، فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى حرم الإمام يعسوب الدين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام فانكشفت لهم الحجب، ووقفوا على ما كانوا يرجوه، فانشرحت صدورهم، ورجحت بذلك عقولهم، **فكانت عقولهم في أطراف أقلامها**[1]، هذا كله بفضل وعناية باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا بعض يمكن ذكره في شرح هذه الفقرة من الزيارة في كونهم عليهم السلام كهف الورى، وهي ساحة الهداية والرجوع إلى الملجأ والكهف الحصين، ويوجد قبال ذلك ساحة الشيطان وكهفها المظلم والمأوى الفاسد، ومن يقرأ دعاء الإمام السجاد عليه السلام الوارد في الصحيفة يجد ان الشيطان وكل من كان في ركبه من المفسدين والظالمين في كهف واحد قبيح: " **اللهم اهزم جنده، وأبطل كيده، واهدم كهفه، وارغم أنفه**"[2].

ومعقلي **كَهْفِ الوَرى** ذوي الحجى معوَّلي هدايةً ومرتجى

([1]) أقول: أُقتبست هذه العبارة من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام:" **عقول الفضلاء في أطراف أقلامها**"، الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص343، ويحتمل أن يكون المقصود من هذه العبارة هو أنه تتبين عقول الفضلاء من خلال كتاباتهم وأبحاثهم وما يتركوه من تراث، أو ربما يقصد من ذلك أن الفضلاء أو العقلاء بمجرد مسك القلم تأتيه أفكار جديدة، وهذا الأمر يحدث لمن يلتجأ إليهم عليهم السلام في أوقات الأزمات والصعاب.

([2]) الصحيفة السجاديّة، دعاء عرفة.

27. وَرَثَةِ الأنْبِياءِ

الورثة جمع وارث وهو من يبقى بعد المورّث ويستحق ميراثه، والميراث هو ما يخلّفه الرجل لورثته، ويطلق على كل ما يورّث، وقد دلت الآية الكريمة على ذلك، قال تعالى:﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [1].

وفي هذه الجملة إطلاق وعموم من جهة "الإرث"، فإنه لا يختص بشيء دون آخر، وإطلاق وعموم من طرف "الأنبياء" فإنه يعمهم كلهم.

قال الراغب: الوراثة والإرث: انتقال قنية عن غيرك، من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد، وسميّ بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث[2]، وقال إبن فارس: أنْ يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب[3].

وفي الفقه الإرث معناه استحقاق إنسان بموت آخر أو سبب شيئاً بالأصالة [4]، أو إنتقال حق الغير بعد الموت على سبيل الخلافة، والوارث من انتقل إليه حق الميت خلافة[5].

([1]) سورة فاطر/الآية:32.

([2]) الإصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص518.

([3]) إبن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص105.

([4]) الشهيد الأوّل، الروضة البهيّة، ج8، ص11.

([5]) العلامة الحلي، المهذب البارع، ج4، ص325.

واشترط بعضٌ في التوريث وفاة المالك الأوّل، وصرح بان الوراثة تكون في الأمور الماديّة والمعنويّة[1].

والأنبياء جمع النبي، على وزان الأتقياء والتقي، وقد مضى الحديث سابقاً في التعليق على الفقرة الأولى، والتي جاء فيها" **أهل بيت النبوة**".

ثم إن هذه الفقرة تنطوي تحتها ثلاث أُمور: **الأول**: المورّث، **والثاني**: الوارث، **والثالث**: الميراث، أما المورّثون فهم الأنبياء عليهم السلام، وهم المبعوثون المعروفون124000 نبي، والوارثون لهم هم آل البيت عليهم السلام الذين وصل إليهم جميع مواريث الأنبياء ومختصاتهم، وكافة مواريث جدهم الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهم الورثة المحقون المستحقون لجميع ذلك.

فهم عليهم السلام ورثوا جميع ما كان للأنبياء عليهم السلام من لوازم النبوة كالاسم الأعظم الذي كان مبدأ علومهم، وكتبهم، وتركة رسالتهم، ومكارم أخلاقهم، وقربهم إلى ربهم، وعلوم جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وآثارهم ومما ورثوا: التابوت والألواح، وعصا موسى عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام، وعمامة هارون عليه السلام، وقميص يوسف عليه السلام[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:" **إن داود ورث علم الأنبياء، وإن سليمان ورث علم داود، وإنَّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ورث سليمان، وإنا ورثنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى**"[3].

([1]) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج13، مادة "ورث".

([2]) الصفار، بصائر الدرجات، ص139، 140؛ الصدوق، الخصال، ص650؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص210، الراوندي، الخرائج والجرائح، ج1، ص296؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج23، وما بعده.

([3]) الكليني، الكافي، ج1، ص225.

وقد دلت جملة كبيرة من الأخبار بأن عندهم كتاب علي عليه السلام، وصحيفة فاطمة عليها السلام، الجفر، والجامعة، والتابوت، وودائع الأنبياء عليهم السلام، وغيرها من الأخبار [1].

وقد روي انهم عليهم السلام آتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين[2].

ويمكن تصنيف عموم الإرث والوراثة أو ما يعرف بمواريث الأنبياء من خلال ما دلت عليه الأخبار، والتي يستفاد منها الأُمور التاليّة[3]:

1. المقامات والمراتب العالية في القرب الإلهي، فالأئمة عليهم السلام قد روثوا هذه المراتب والمقامات.
2. الملكات العالية والصفات الحميدة والعصمة وباقي المعالي الموجودة عند الأنبياء عليهم السلام.
3. الصحف والكتب وسائر الأُمور الخاصة بالأنبياء، مثل خاتم سليمان، وعصى موسى، وغير ذلك، وكلها قد ورثها الأئمة عليهم السلام، وهي عندهم.
4. خصوصيات امتاز بها بعض الأنبياء والرسل، كنفوذ الكلمة والحكومة الظاهرية والطَّول والقوة، وقد انتقلت من بعدهم للأئمة عليهم السلام وأصبحت خاصة بهم، حيث لزم بتبع ذلك وجوب طاعتهم على أُمم الأنبياء عليهم السلام، بمعنى إن الطاعة المطلقة المفروضة التي كانت لرسل الله تعالى، قد اجتمعت بالأئمة من آل البيت عليهم السلام، وهي ثابتة فيهم دون غيرهم.
5. الأموال والممتلكات، فكل من يخلّف من الأنبياء عليهم السلام مالاً فهو يصل إلى وارثه، ولمّا كان الأئمة عليهم السلام سلالة النبيين، فهم يستحقون بالإرث ـ بحسب الموازين ـ ما لو ترك الأنبياء شيئاً من الأموال والأملاك، كما أنّهم ورثة جدّهم الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فيما تركه من مالٍ.

([1]) الكليني، الكافي، ج1، ص238، باب" فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام.

([2]) سوف يأتي الحديث عن هذه الفقرة التي اقتبسها الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة وهو يعرف البشريّة بصفات وكمالات آبائه وأجداده عليهم السلام.

([3]) الميلاني، مع الأئمة الهداة، ج1، ص259.

فالأنبياء عليهم السلام لم يكتنزوا شيئاً من الذهب والفضة والجواهر والدرر لينتقل إلى وارثيهم، وإنما قدموا كل ما كانوا حصلوا عليه وبذلوه قربة إلى الله تعالى قبل أن يخرجوا من الدنيا.

وجاء في زيارات أمير المؤمنين عليه السلام: "**السلام على وارث علم النبيين**"[1]، وفي زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث:" **السلام عليك يا وراث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله...**"[2]. وقد ذكر الأنبياء عليهم السلام بأسمائهم كمورثين له عليه السلام، بل هو شامل لجميع الأئمة عليهم السلام، فقد ورث من آدم عليه السلام خصّيصة اصطفائه، ومن نوح عليه السلام خصّيصة نبوته، ومن إبراهيم عليه السلام خصّيصة خُلّته، ومن موسى عليه السلام خصّيصة تكليم الله له، ومن عيسى عليه السلام خصّيصة كونه روح الله، ومن محمد صلى الله عليه وآله وسلم خصّيصة كونه حبيب الله، ومن علي عليه السلام خصّيصة إمرته على المؤمنين؛ وبهذا تكون كمالات الماضين جُمعت في إنسان واحد، "**وما حازه الصالحون متفرقاً حزته أنت مجتمعاً**"[3].

ومن يراجع سيرة ومسيرة آل البيت عليهم السلام يجد أنهم لم يكتنزوا الذهب ولا الفضة، بل حتى ما كانوا يملكوه من حقوق ومختصات خاصة قد سلبته السلطات الحاكمة، وكمثال على ذلك "**مسألة فدك**" وهي تلك المزارع التي كانت إلى حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد السيدة الزهراء عليها السلام، وقد انتزعتها الحكومة المستحدثة بعده وألحقتها بأملاك الدولة، وتمسكوا لتبرير عملهم هذا بحديث رووه من مستحدثات أفكارهم، والذي يصب في خدمة مصالحهم، ومفاده" **نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة**"[4].

([1]) المجلسي، ج100، ص303، 347، 360.

([2]) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، ص719.

([3]) الجوادي الآملي، أدب فناء المقربين، ج2، ص79.

([4]) شرح نهج البلاغة، المجلدان 16،15، ص381.

ولا ندري لماذا الأنبياء عليهم السلام لا يجوز لهم أن يخلفوا ميراثاً عينياً ومالياً؟! ولما هذا الإستثناء من الحالة الإنسانيّة العامة التي توافق الفطرة والعقل والمنطق، فالأنبياء عليهم السلام كغيرهم من البشر لهم أولاد وأحفاد وذراري، فهل يمكن قبول فكرة مصادرة أموال النبي بداعي أنه لا يورث ماعدا الكتاب والحكمة والعلم والنبوة؟!. ولهذه الجهة إن الفقرة الثانية من الرواية والتي هي" **ما تركناه صدقة**" منكرة لا يمكن قبولها والإعتماد عليها؛ لأنها تخالف الفطرة الإنسانيّة السليمة.

هذا هو حال أهل البيت عليهم السلام في هذه الدنيا الدنيّة، ومع ما كانوا به على مثل هذه الحالة تجدهم يقدمون كل ما يملكون وما يحصلون عليه فإنه يبذلونه في سبيل الله وقربة لله، وكذلك من سار على نهجهم واخلاقهم كما هو حال العلماء والفقهاء الربانيين، وما أكثر القصص التي تحكى عنهم في إنفاق ما يرثونه من أموال طائلة على الفقراء والمحتاجين.

وفي الجهة المقابلة يوجد هناك الكثير من الناس ممن قرأنا عنه أو شاهدناه في حياتنا ممن كان في مصاف الصعاليك، فأصبح من أصحاب الثروات والأسهم في البورصات العالميّة، سيما أولئك الذين استولوا على أموال الشعوب وخزائن الدول، والميزانيّة الماليّة السنويّة كما هو حال السراق من الطبقات السياسيّة الفاسدة في الشرق الأوسط، ودول العالم، حيث تجدهم يكتنزون الأموال الطائلة في البنوك والمصارف الأوربيّة، ويتاجرون بدماء الأبرياء والفقراء والمحتاجين، وبأموال خيرات مواطني شعوبهم، ولم يقدموا شيئاً لهم، بل أغرقوا البلاد بالديون والفساد، ولربما تكون وراثة هذه الأموال من حصة الإستكبار العالمي، حيث تقوم بمصادرتها من البنوك بداعي أنها ليست من حقوقهم، وما أكثر هؤلاء في عصرنا الحاضر.

وَرَثَةِ الدِّينِ والأنبـيــاءِ بخِيْرِ قَولِ المِدحِ والثَّناءِ

28. الْمَثَلِ الأعْلى

المثل: لها عدة معاني: منها: الحجة، والحديث، والصفة [1]، والعرب تسمي الحديث والقصة بالمثل [2]، والأمثال تضرب في جميع اللغات، والأعلى إسم من أسماء الله الحسنى[3]، وهو إسم تفضيل لـ" **عالي**"، ومادتها "**العلو**"، و" **العلو**" بمعنى الرفعة والأفضليّة، ويقابله" **السِفل**"[4].

ويعد التمثيل وذكر المثل من أسهل الطرق لبيان الحقائق والمعارف العميقة والعلوم الجليلة؛ لأنه يتيح للمتكلم تشبيه وتقريب المعارف العالية والدقيقة التي لا تستوعبها الأذهان بأمور معروفة للمخاطب، وبملاحظة وجه الشبه بين الممثَّل والممثِّل به ينجح في إيصال المعلومة.

ويمكن أن يكون المراد من هذه الفقرة هو أنهم عليهم السلام حجج الله تعالى أعلامهم والمتصفون بصفات الله تعالى، فهم صفته وصفاته على المبالغة [5]، وهو من باب الجري والتطبيق لمفهوم "**المثل الأعلى**" على المصداق الأتم وهم الأئمة عليهم السلام، وكيف لا يكونوا كذلك

([1]) القاموس المحيط، ج4، ص49.

([2]) مجمع البحرين، ص495.

([3]) سورة الأعلى/الأعلى/الآية:21، وسورة الليل/الآية:20.

([4]) المصطفوي، مصدر سابق، ج8، ص214؛ وينظر: سورة هود/الآية:82؛ وكذلك سورة التوبة/الآية:40.

([5]) المجلسي، محمد تقي، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ص51.

فهم عليهم السلام الحجة الكبرى على الخلق، ومن أراد أن يعرف الله فلا بّد من معرفتهم، ومن جهلهم فهو الجاهل بالله، ومن تخلى عنهم فقد تخلى عن الله [1].

ثم إن الأمثال تتفاوت في الدرجات صاعدة حتى تنتهي إلى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكل شيء مثلهم ومثل لهم وليس فوقهم مثل فهم الأمثال العليا[2].

وعند مراجعة كتب الأخبار الصادرة عن أئمة آل البيت عليهم السلام يتبين أن الكثير منها مقتبس من القرآن الكريم إما من جهة اللفظ أو المعنى، وهذا ما نجده في هذه الزيارة، وفقرة "**المثل الأعلى**" المقتبسة من قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى** ﴾[4]، وجاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: "**وأمثالهم في القلوب موجودة**"[5] أي: أن حكمهم ومواعظهم محفوظة عند أهلها يعملون بها ويهتدون بمنارها[6] من جهة؛ ومن جهة أُخرى أن الأجيال غير المعاصرة لهم زماناً والأجيال البعيدة عنهم مكاناً، والأجيال المختلفة عنهم لساناً، لا تربطهم بهم صلة، لتكون صورهم حاضرة في قلوبهم، والحال أنّهم باقون في ذاكرة وقلوب الناس ما بقي الدهر، ومِثلهم حفظة الأسرار وأمناء السرائر العلماء العادلون الذين يخزنون معارفهم في صحف العلم، ويبثون علومهم في صدور وعقول المجتمع الواعي[7].

([1]) الدرود آبادي، حسين، الشموس الطالعة في شرح الزيارة الجامعة، ص209.

([2]) الاحسائي، أحمد، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج1، ص148.

([3]) سورة الروم/الآية:27.

([4]) سورة النحل/الآية:6.

([5]) نهج البلاغة، "**الحكم**"، الحكمة144.

([6]) الاحسائي، مصدر سابق، ص146.

([7]) الآملي، مصدر سابق، ج2، ص96.

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليهم السلام قال:" **قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: يا علي، أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى**"[1]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في حديث له:" **وبنا ضُربت الأمثال**"[2].

فهم المثلى الأعلى في المنظومة القيميّة الإنسانيّة وعلى رأسها وهم تاجها، فإن ذكر الخير كانوا أوله وأصله ومنتهاه، وبذلك يثبت أن الأئمة عليهم السلام مُثل عُليا وآيات كبرى، والقدوة الأمثل في الحياة الإنسانيّة، فما أحوج الإنسانيّة اليوم وهي تعيش حالة الإنحطاط بكل صورها واشكالها ومظاهرها، حيث تعيش حالة الذل والهوان والمعيشة الضنكيّة، مع تطورها وتقدمها بالعلوم الحديثة والمتطورة، والتكنلوجيا المذهلة التي بنت الإنسان علمياً ومعلوماتياً، ولكنه حطمته تحطيماً أخلاقياً وسلوكياً، والسبب في ذلك هو إبتعاد الإنسانيّة عن الرموز القدوة والمثل الأعلى في الدنيا والآخرة، وعلى ذلك يتبين أن من يحوز أو يحصل على قدر كبير من الأخلاق والفضائل والتي يعبر عنها بالكمالات فهو من يستحق أن يُتأسى به والأجدر بالتأسي به؛ ولأن الإقتداء بالأئمة عليهم السلام يتجلى في سلوكيات اتباعهم وشيعتهم، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الإنسان كلما ابتعد عن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ساحتهم، ولم يستفد من هديهم ونورهم فإنه يعيش في عالم الظلام، ظلمة القلب، بمعنى يصبح قلبه قاسياً مظلماً لا نور فيه، هذا حاله في هذه الدنيا المتدنيّة، أما في عالم الآخرة فإنه لا نوره له، بينما من يجعل الأنبياء والأئمة أسوة له ومثل أعلى في الدنيا، فإنه يتنور قلبه بنور الإيمان والهدايّة الإلهيّة،

([1]) عيون أخبار الرضا ع، ج2، ص13/6 باب30.

([2]) مرآة الأنوار، ص2020.

ويؤتى به يوم القيامة ونوره يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله، فيقال له يافلان قم إلى نورك.

والمَثَلِ الأعلى بِكُلِّ آيَة تَدعُوا الوَرى طُرّاً إلى الهِدايَة

29. الدَّعْوَةِ الْحُسْنى

دعوة كلمة مشتقة من مادة "دعو" ومعناها الإستدعاء وطلب المجيء، والحسنى اسم تفضيل، ومادتها "الحسن" ومعناه الشيء المبهج المرغوب فيه[1]، ويستعمل قبال القبح والمكروه[2]، والدعوة الحسنى هي الدعوة المطابقة للمصلحة والحكمة، والخالية من كل قبح ومنقصه، والبالغة للكمال المحض[3].

يمكن التقريب في كونهم عليهم السلام بالدعوة الحسنى من عدة جوانب[4]:

1. يعني أنهم عليهم السلام أهل الدعوة الحسنى والكلمة الطيبة؛ لأنهم عليهم السلام يدعون الناس إلى الصراط المستقيم وطريق النجاة وسبيل الخيرات والحسنات، وهم خير دعاة إلى الله الأحد، والدعوة الحسنى من فضائلهم التي لا يشاركهم فيها أحد.

2. وربما يكون المراد في كون الأئمة عليهم السلام أهل الدعاء والمناجات الشريفة، كما كانت أكثر أوقاتهم تقضى في الدعاء والذكر والعبادة، والمظهر الكامل لهذا المعنى الإمام سيد الساجدين عليه السلام، وتعتبر الصحيفة السجادية وهي زبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم رشحة من رشحات مناجاته ودعوته العالية.

([1]) مفردات غريب القرآن، مادة "حسن".

([2]) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج2، مادة "حسن".

([3]) الميلاني، مع الأئمة الهداة، ج1، ص721.

([4]) الوحيدي، محمد، أنوار الولاية الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، ص56.

3. أو أن المراد بها أن الأئمة عليهم السلام كانوا مضان الإجابة في دعواتهم لله عز وجل.

4. وربما يكون المراد من الدعوة الحسنى أن أهل البيت عليهم السلام هم نتاج دعوات الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم عندما قال: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾[1].

وعن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم قال:" **أنا دعوة أبي إبراهيم**"[2].

5. أو أنهم أحسن الدعاة إلى الله تعالى، وإن الدعوة إلى متابعتهم أفضل الدعوات[3].

وعند مراجعة كتب الأخبار عنهم عليهم السلام يتضح أنهم أحسن الدعاة، والداعون بأحسن وجه، إلى الله تعالى وإلى الإسلام وإلى الإيمان والتقوى وطريق الجنة الذي هو طريق النجاة والفوز بالسعادات الدنيويّة والأُخرويّة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قوله:" **جعل الله الأئمة الدعاة إلى التقوى**"[4]، وورد في زيارة الإمام المهدي عليه السلام المعروفة بـ آل يس:" **السلام عليك يا داعيّ الله**"[5]، فكانوا عليهم السلام كجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يصفه الله في محكم كتابه المجيد بقوله: ﴿ **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا** ﴾[6]، فأهل البيت عليهم السلام هم الدعاة إلى الله تعالى بالدعوة الحسنى، ويكفيك دليلاً على حسن دعوتهم، وسيرتهم الحسنة، وإحتجاجاتهم المستحسنة، وقد شهد بذلك حتى من كان يحمل في قلبه بغضهم والحقد عليهم[7]، سيما الذين أرادوا اقصائهم عن مراتبهم التي

([1]) سورة إبراهيم/الآية:40.

([2]) المجلسي، بحار الأنوار، ج25، ص200.

([3]) المجلسي، محمد تقي؛ المجلسي، محمد باقر؛ الجزائري، نعمة الله، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ص50.

([4]) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، ص101.

([5]) الطبرسي، الإحتجاج، ج2، ص316.

([6]) سورة الأحزاب/الآية:46.

([7]) الصدر، علي، في رحاب الزيارة الجامعة، ص136.

رتبهم الله تعالى فيها، وعندما فشلوا عن ذلك إلتجاؤا إلى تصفيتهم عليهم السلام تصفية جسديّة، فقتل من قتل، وسبي من سبي.

فهم دعوة الله الحسنى في جميع حالاتهم وتقلباتهم سواء كانوا في مطامير السجون كباب الحوائج إلى الله موسى بن جعفر عليه السلام، او في خارجه ظاهرين وحاضرين بين الناس أو غائبين، ومن هنا فإن مهدي آل محمد عليهم السلام في عصرنا هذا هو الدعوة الحسنى، وإن كان غائباً محجوباً عن الأنظار.

والَمثَلِ الأعلى بِكُلِّ آيَة تَدعُوا الوَرى طُرّاً إلى الهِدايَة

30. حُجَجِ اللهِ عَلى اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى

الحجج جمع حجة كغرف وغرفة، وهو الدليل والبرهان[1]، وإن أهل البيت عليهم السلام هم البراهين التامة في السر والعلانيّة، وورد في بعض فقرات هذه الزيارة "**ونوره وبرهانه عندكم**" فهم حجج الله في أعلى الدرجات في العلم والقدرة وسائر الصفات، حتى فاق فضلهم فضل العالمين جميعاً، مع أنهم مخلوقون مربوبون[2].

وفي الدعاء "**إني متحصن بك ذو اعتصام بأسمائك العظام وموالاة أوليائك الكرام أهل النقض والابرام إمام منهم بعد إمام مصابيح الظلام وحجج الله على جميع الأنام**"[3].

وأول من أطلق على الأئمة عليهم السلام بالحجج هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليه السلام قال: قال: رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : "**الأئمة بعدي اثنا**

([1]) المصباح المنير، ص121.

([2]) الدرود آبادي، الشموس الطالعة، ص214.

([3]) الطوسي، مصباح المتهجد، ص837.

عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم فهم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج اللّه على أمتي بعدي المقر بهم مؤمن والمنكر لهم كافر "[1].

وعن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام، قال: "**نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين**"[2].

ويقول المجلسي الأب قدس سره في شرحه لهذه الفقرة" **حُجَجِ اللهِ عَلى اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأُولى**": أي احتج الله وأتم حجته بهم على أهل الدنيا بأن جعل لهم المعجزات الباهرة والعلوم اللدنيّة والأخلاق الإلهيّة والعقول الربانيّة فهذا هم بهم إليه ويحتج بهم في الآخرة بعد الموت (أو) في القيمة " والأولى " كرر للتأكيد (أو) السجع (أو) هي صفة الحجج فإنهم أولى حجج الله كما تقدم (أو) يقرأ بأفعال التفضيل فإنهم أكمل حجج الله [3].

ويقول السيد الوحيدي: استدعى الله حججه وأوليائه وأكملهم مع أهل هذا العالم وهم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك قادهم إليه، وبعد الموت يحتج بهم وسوف تتضرع بهم الأجيال اللاحقة وتلتحق بالسابقة التي تنتقل إلى عالم البرزخ، والمواقف المخيفة والسؤال والشدائد النازلة، وغيرها من مراحلها ومواقفها الرهيبة[4]، وبعد ذلك في يوم القيامة، فهناك تتم الحجة وله الحجة البالغة على جميع خلقه، وهذا الإحتجاج ليس مختصاً في الإنسان، بل يشمل الإنس كذلك في أزمنتهم أي الدنيا، وفي الآخرة وبالأولى وهو تأكيد للدنيا، ويمكن أن

([1]) الكاشاني، الفيض، الوافي، ج2، ص313.

([2]) الصدوق، الأمالي، 253.

([3]) المجلسي، محمد تقي، شرح من لا يحضره الفقيه، ج5، ص463.

([4]) الوحيدي، أنوار الولاية الساطعة، ص59.

تكون الأولى هي إشارة إلى عالم الذر، وقد ورد في الروايات:" **إنه تعالى أخذ الميثاق بولايتهم في ذلك اليوم**"[1].

ولربما يكون المراد من الأُولى هو القرون الماضيّة قبل الإسلام، فيكونوا هم حججاً على القرون الماضيّة، ويمكن الإستشهاد بذلك بما ورد بالخبر الخاص بالسيدة الزهراء عليها السلام الذي رواها العلامة المجلسي نقلاً عن أمالي الطوسي، والذي جاء فيه:" **وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى**"[2].

إن الأئمة عليهم السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم حجج الله تعالى، وبهم يحتج غداً على الناس، ويتم نعمته على عباده، وقد ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:" **إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يعرف**"[3].

وبذلك يثبت أن الأئمة عليهم السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم حجج الله تعالى على خلقه في جميع العوالم عملاً وعيناً، فمن يزعم بانه غير قادر على مجاهدة نفسه وتزكيتها والتغلب على الهوى والشيطان ومغريات الدنيا وترك الذنوب بكل صورها وأشكالها بصغائرها وكبائرها، فإن وجود المعصوم الحجة وهم الأئمة الأطهار من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير دليل على بطلان هذا العذر؛ لأن وجودهم عليهم السلام يثبت قدرة الإنسان في هذه الدنيا على المواجهة وبذل الجهد وتحقيق الكمال، وإن يتصف بالخير والصلاح والإستقامة لنفسه ولأسرته ولمجتمعه وأمته، والحجة القائم المهدي عليه السلام سوف يكون له عوناً في جميع أموره وتقلباته، ومن كان كذلك فهو للهداية قريب، ومن الضلال بعيد، ومن هنا لا بد لكل مسلم ومؤمن أن يعرف الحجة في زمانه

([1]) البرقي، المحاسن، ج1، ص135؛ الصفار، بصائر الدرجات، ص45؛ الكليني، الكافي، ج1، ص101

([2]) المجلسي، بحار الأنوار، ج43، ص105.

([3]) الكافي، ج1، ص177.

ويرتبط به، ويهتدي بهداه، ويستضيء بنوره، ليكون بذلك من المؤمنين به وبقضيته، ومرتقباً لدولته، وممهداً لظهوره، وما أجمل تلك اللحظات التي يجلس فيها المؤمن في محرابه، مستقبلاً للقبلة في أخر ساعة من يوم الجمعة ويقرأ تلك الأدعيّة المأثورة عنهم عليهم السلام، سيما التي نقلها ورواها السفراء الأربعة كما في **دعاء زمن الغيبة**، الذي رواه الشيخ أبا عمرو النائب الأوّل من نواب الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، والذي جاء فيه:" **اللهم ! عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم! عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم! عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني، اللهم! لا تمتني ميتة جاهلية ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم! فكما هديتني لولاية من فرضت على طاعته من ولاية ولاة أمرك بعد رسولك صلواتك عليه وآله حتى واليت ولاة أمرك أمير المؤمنين والحسن والحسين وعليا ومحمدا وجعفرا وموسى وعليا ومحمدا وعليا والحسن والحجة القائم المهدي صلواتك عليهم أجمعين**"[1].

وحُجَجِ الله على أهْل القُــرى سَناؤُهم في هذهِ الدُّنيا سَرى
هذا وفي العُقبى وادرِ الآخِرَة شفاعَةُ النّــاسِ لَهُمْ والمِغفِرَة
ويَومَ أنْ ذَراهُمُ في الأُولـــى كانَ رِضا اللهِ بِهِمْ مَأمُـــولا

(1) الطوسي، مصباح المتهجد، ص412.

31. مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ

محال جمع محل، وهو المكان والموضع، والمعرفة هي إدارك الشيء[1]، وما يستقر به الشيء، بل هي أقصى مراتب إدارك الشيء، فالمكان هنا هم "**الأئمة**" والحال فيه هو "**معرفة الله**"، وقد تكررت هذه الجملة "**محال معرفة الله**" في الكثير من الموارد كما في الزيارات والأخبار، فقد جاء في الزيارة الجامعة لأئمة البقيع عليهم السلام:" **السلام على محال معرفة الله**"[2].

وعنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ سُئِلَ أَبِي عَنْ إِتْيَانِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ صَلُّوا فِي الْمَسَاجِدِ حَوْلَه ويُجْزِئُ فِي الْمَوَاضِعِ كُلِّهَا أَنْ تَقُولَ" .. **السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّه**"[3].

وعن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: "**وتقول عند قبر أبي الحسن عليه السلام ببغداد، ويجزي في المواطن كلها ان تقول : ..السلام على محال معرفة الله**"[4].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أتى قبا فصلى ركعتين رجع بعمرة، فإذا دخله صلى فيه ركعتين تحية المسجد فإذا فرغ من الصلاة سبح وقال: "...**السلام على محال معرفة الله**"[5].

وآل محمد عليهم السلام وصفوا بذلك إشارة إلى أنهم محال ومواضع معرفة الله تعالى، وباعتبار أنه لا يعرف الله تعالى حق معرفته إلا هم عليهم السلام، وهم أعرف الناس بالله، والتامين في معرفته،

([1]) مجمع البحرين، مادة عرف، ص415.

([2]) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، المقنعة، ص489.

([3]) الكليني، الكافي، ج4، ص579.

([4]) بن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص504.

([5]) المجلسي، بحار الأنوار، ج97، ص223.

وقد دل على ذلك قول رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام:" **ياعلي ما عرف الله حق معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حق معرفتك غير الله وغيري**"[1]، وكذلك يمكن تقريب معنى قولهم "**محال معرفة الله**" إشارة إلى أنه لا يُعرف الله تعالى إلا بهم ومن طريقهم، ولا يُتوصل إلى المعرفة الحقة إلا من خلال تعريفهم، فترجع المعرفة الصادقة إليهم عليهم السلام، وقد دلّ حديث عبد الله بن أبي يعفور، عن الإمام الصادق عليه السلام الذي جاء فيه:" **بنا عرف الله وبنا عبد الله، ونحن الأدلاء على الله ولولانا ما عبد الله**"[2].

وكذلك ما جاء في حديث نصر العطار أنه قال: قال: رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام:" **ثلاث أُقسم أنهن حق: إنك والأوصياء من بعدك عرفاء لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم**"[3].

وعن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد فيه:" **نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا**"[4].

وفسرت روايات آل محمد عليهم السلام معرفة الله بمعرفة الإمام الواجب الطاعة، والدليل عليه ما قاله المحقق الكراجكي:" إعلم أنه لما كانت معرفة الله وطاعته لا ينفعان من لم يعرف الإمام، ومعرفة الإمام وطاعته لا تقعان إلا بعد معرفة الله، صح أن يقال: إن معرفة الله هي معرفة الإمام وطاعته"[5].

([1]) المجلسي، بحار الأنوار، ج39، ص84.

([2]) الصدوق، التوحيد، ص152.

([3]) بحار الأنوار، ج23، ص99.

([4]) بحار الأنوار، ج24، ص248.

([5]) بحار الأنوار، ج23، ص93.

فطلب المعارف يكون من طريقهم وبمعرفتهم وهو الإيمان، وأن كل معرفة عند أحد من الخلق إنما كانت صحيحة؛ لأنها أخذت عنهم فهم محال معرفة غيرهم؛ ولأن معرفة الله تعالى عندهم ومعهم وفيهم وبهم وإليهم ولهم، وفي مقابله يكون سلوك طريق غيرهم هو الكفر والعصيان، والجهل والضلال؛ فإن رجعوا إليهم اهتدوا، وإن أعرضوا عنهم أو رجعوا إلى غيرهم كانت عاقبتهم الغواية والإنحراف عن الجادة السليمة التي يريدها الله تعالى، ومن هنا ورد في إحدى فقرات هذه الزيارة:" **من أتاكم نجى، ومن لم يأتكم هلك، إلى الله تدعون وعليه تدلون..**"[1]، ولهذه الجهة من عرفهم فقد عرف الله ﷻ، ومن أنكرهم فقد أنكر الله ﷻ، كما أن معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانيّة هي معرفة إلهيّة، ومعرفة الله تعالى هي معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانيّة[2].

وبذلك يتضح السر في كثرة ما روي عن النبي وآله الأطهرين عليهم السلام في الحديث عن الله تعالى في مختلف الجوانب فحينما يقولون: "**نحن نرى الله تعالى**"، "**وكيف لا نعبد رباً لا نراه**"، "**ولا تراه العيون بل تراه القلوب**"، وقد امتلأت الكتب والمصادر بهذه العبارات والمعاني التي أكثر أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحديث عن الله وعن معرفته، والسبب في ذلك ان عيونهم وآذانهم الباطنيّة مفتوحة؛ ولأنهم خطواتهم كانت خطوات باتجاه الخالق، فأتاهم المدد الإلهي، وآتاهم الله ما لم يؤتي أحداً من العالمين، فكانوا في النتيجة هم محال معرفة الله تعالى.

كَذا قُل السَّلامُ حِينَها على مَحالِّ دِينِهِ مَناهِلِ الــوِلا
أبوابِ عِلمِهِ كُنوزُ مَعرِفَــة أنوارُكُمْ في اللهِ قُلْ مُؤتلِفَة

([1]) سوف يأتي شرح هذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة.

([2]) بحار الأنوار، ج26، 324، ج88، ج26، ص1.

32. مَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ

المساكن جمع مسكن، وهو محلّ النزول والسكون والإستقرار بمعنى الإطمئنان وعدم الحركة[1]، ويقال للموضع الذي يسكن فيه: ساكنٌ، والساكن هو ما له قرارٌ في مسكنه، والبركة هي كثرة النعمة والخير والكرم، وزيادة التشريف والكرامة والنماء والسعادة، وقد مضى في شرح الفقرة رقم(20) " **رحمة الله وبركاته**" بيان المعنى اللغوي للبركة فلا داعي للتكرار.

فتكون معنى هذه الفقرة أن أهل البيت عليهم السلام هم محل نزول فيوضات الله عزّ وجلّ وبركته وخيره وكرمه وأن الله تعالى إنما يبارك على الخلائق بالأرزاق الدنيويّة والعلوم والمعارف الإلهيّة من نافذتهم عليهم السلام، وقد أُضيفت "**البركة**" إلى "**اسم الجلالة**" الذي يحتوي على جميع الكمالات، وهذا يكشف على أنهم عليهم السلام لديهم جميع الخيرات والكمالات الإلهيّة، وانهم السبب لنموها وتزايدها بين الخلائق.

فهم مركز الفيض والبركة بكافة أنواعها وأقسامها، وإنما تنزل عليهم، وتسكن عندهم، وببركتهم تصل إلى غيرهم[2]، "**فبيمنهم رزق الورى، وبوجودهم ثبتت الأرض والسماء**"، وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام:" **وبنا ينزّل الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها**"[3].

([1]) إبن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة" **سكن**".

([2]) الطباطبائي، الأعلام اللامعة، مصدر سابق، ص128.

([3]) الصدوق، إكمال الدين، ج1، ص207.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:" **بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا أُنزل غيث السماء، ونبت عشب الأرض**"[1].

وفي الزيارة المطلقة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام:"... **إرادة الرَّب في مقادير أموره تهبط إليكم، وتصدر من بيوتكم، والصادر عما فصَّل من أحكام العباد**"[2]، ومن المقادير البركات والخيرات في الأموال والأنفس والثمرات، وكذلك العلوم والمعارف.

وفي بطون الكتب والأخبار أحاديث كثيرة دلت على أنهم النعيم الإلهي الذي أنعم الله عز وجل التي لا تنقطع على عباده[3]، وهم بيت البركة [4]، ونزول البركة على مزرعة أبي الغيث ببركة دعاء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام[5]، وكذلك ما ورد في معاجز الإمام الجواد عليه السلام لما أنصرف من بغداد، وانتهى إلى دار المسيب، وكان في صحن داره نبقة ـ ثمر السدر ـ لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل هذه الشجرة، وقام وصلى.. فلما انتهى وقام إليها رأها الناس وقد حملت حملاً حسناً فتعجبوا من ذلك وأكلوا منه[6].

ويذكر الشيخ المفيد هذه الشجرة بقوله:" **وقد أكلت من ثمرها وكان لا عجم له أي لا نواه فيه**"[7].

([1]) المجلسي، بحار الأنوار، ج24، ص197.

([2]) الكليني، الكافي، ج4، ص576.

([3]) النسفي، كنز الدقائق، ج14، ص421.

([4]) المجلسي، مصدر سابق، ج26، ص254.

([5]) الأربلي، كشف الغمة، ج3، ص11.

([6]) البحراني، عبد الله، مستدرك العوالم، ج23، ص139.

([7]) المفيد، الإرشاد، ج2، ص289.

ولقد بارك الله تعالى في آل محمد عليهم السلام أجمعين بأنواع البركات، وجعل سيدتهم الزهراء عليها السلام الصديقة الطاهرة الكوثر والخير الكثير، وسماها المباركة، وبارك فيهم وفي نسلهم وفي شيعتهم وحتى في تربتهم التي تضمنتهم، والمشاهد الشامخة التي تشرفت بهم[1].

ثم إن كل من كان اتصاله وارتباطه برسول الله وآل بيته عليهم السلام أزيد وأشد واكثر، وكان متخلقاً بأخلاقهم عليهم السلام كان انتفاعه من بركاتهم وفيوضاتهم أكثر وانفع، والعكس صحيح، وقد نقل لنا التاريخ الكثير من النماذج ممن كان يتمتع بالعلم والفهم والعقل والأدب والحنكة ومن أصحاب الثروة والمال، وكانت لهم الحضوة بين قبائلهم من جهة الوجاهة، وقد لقب أحد هذه النماذج بريحانة قريش[2]، والآخر بأبي الحكم[3]، ولكن هذين الرجلين وغيرهما من النماذج الكثيرة جداً لم يكن لهما بركة في علومهما وأموالهما وأولادهما، ولم يكسبا من كل هذه الدنيا دوام الذكر وبقاء الاسم، ـ **والكثير ممن نعرفهم وقرأنا عنهم، أو ممن عاصرناهم ومن كانت تشمئز النفس من ذكرهم،** ـ والسبب في ذلك هو ابتعادهما عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الهاديّة عليهم السلام الذين هم خزائن البركة ومفتاحها.

بينما نجد من كان على نهجهم وهديهم وولايتهم عليهم السلام وهم كثر عبر التاريخ، وقد كسبوا من الدنيا دوام الذكر والبقاء والذكرى العطرة، وممن تذكر أسمائهم للبركة كسلمان المحمدي، وعمار بن ياسر، وأبو ذر، والمقداد، وكذلك الذكرى الطيبة والمباركة عبر مئات السنين، للكثير من النماذج المباركة ممن نقلوا لنا أحاديث أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم، وهنا يكمن السر في البركة وخلود تلامذة الأئمة عليهم السلام كزرارة بن أعين، وهشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وكذلك

([1]) الصدر، علي، في رحاب الزيارة الجامعة، ص147.

([2]) هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

([3]) هو إبن أخيه عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي.

العلماء الفقهاء كالعلامة الحلي، والشهيد الأول، والشهيد الثاني، والسيد إبن طاووس، والحر العاملي، وغيرهم من الأعلام، والكثير ممن تُدرس وتُدَرَّس كتبهم ومصنفاتهم في المحافل العلميّة.

وإنَّما لَدى مَساكِنِ النَّدى بَرَكَةِ الله يُبَلَّغُ الهُدى

33. مَعادِنِ حِكْمَةِ الله

المعادن: جمع مَعدِن بكسر الدال بمعنى محل إستقرار الجواهر وإفاضتها، وهو مركز كل شيء وأصله ومبدؤه، والحكمة في اللغة هي: العلم الذي يرفع الإنسان ويمنعه عن فعل القبيح[1]، وفي المفردات جاء أن الحكمة هي إصابة الحق بالعلم والعقل[2]، وقد وردت كلمة الحكمة بمعنى العلم والقرآن والفقه والموعظة وغيرها، وقال بعض العلماء: المراد من الحكمة علم يردع الإنسان من إرتكاب الرذائل، ويرفع مكانته عند نفسه وعند الناس من الإقدام على المعاصي، وقال آخرون: المراد من الحكمة الفهم والعقل[3] كما قال تعالى:﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾ [4]، وفسرها المعصومون عليهم السلام بضياء المعرفة، وطاعة الله تعال، ومعرفة الإمام عليه السلام.

والحكمة بأي معنى كانت، فإن الأئمة الأطهار عليهم السلام هم أهل لها ولحملها؛ لأن العلوم والحكم مأخوذة من الله عز وجل، والأئمة الأطهار عليهم السلام معدن الحكم الإلهيّة، وجاء في حديث

([1]) مجمع البحرين: مادة حكم، ص511.

([2]) الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص127.

([3]) تفسير البرهان، ج1، ص158؛ كنز الدقائق، ج2، ص443.

([4]) سورة لقمان/الآية:12.

خيثمة قال: قال لي الإمام الصادق عليه السلام:" **يا خثيمة نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم...**"[1].

يقول الدرود آبادي:" المراد بالحكمة هي الولاية الكليّة النوريّة التي معدنها آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم أبوابها"[2].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :" **أنا مدينة العلم وعلي بابها**"[3].

وجاء في دعاء الندبة:" **ثم أودعه علمه وحكمته، فقال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها**"[4].

فيكون معنى أنهم عليهم السلام(معادن حكمة الله) أي: العلوم الحقيقيّة الإلهيّة، التي تمنع صاحبها عن أراذل الأخلاق وذمائم الأفعال.

هذا وقل لدى معادنِ الحجى مِنْ حِكمَةِ الله الهُداةُ تُرتَجى

([1]) الكليني، الكافي، ج1، ص221.

([2]) الهمداني، حسين، الشموس الطالعة، مصدر سابق، ص219.

([3]) النيسابوري، كنز العمال، ج6، ص152.

([4]) إبن طاووس، إقبال الأعمال، ص296.

34. حَفَظَةِ سِرّ الله

الحفظة: جمع الحافظ، على وزن طلبة جمع طالب، وكتبة وكاتب، والحفظ بمعنى حياطة الشيء من الضياع والتلف ويقال حفظ المال، والمحافظة على الشيء هي المواظبة عليه، والمراقبة له، والإعتناء به كما يستفاد من كتب اللغة والمعاجم العربيّة[1]، والسر: جمعه أسرار، أي رعاه وهو في اللغة بمعنى ما يكتم، وهو ما يقابل الإعلان، وما يكتم من الأمور[2]، ومنه(**هذا من سر آل محمد)** أي من مكتومهم عليهم السلام الذي لا يظهر لكل أحد[3]، فالأئمة عليهم السلام هم المثل الأعلى والقمة العليا لأسرار الله تعالى، وأسرار الله تعالى هي العلوم التي لا يجوز إظهارها وإفشاؤها إلا لمن هو أهل لها من الكمّلين والمتحمّلين مثل سلمان وكميل[4] وأمثالهم ممن كان حول الأئمة عليهم السلام.

فهم يحفظون سر الله أي علومه التي لا ينبغي إظهارها لغير أهلها، فيقر الزائر بهذا التعبير في مشاهدهم الشريفة بكونهم عليهم السلامحافظين لسر الله تعالى، وهو كمالُ فعليٌ لهم عليهم السلام، وهم الأحرار الحقيقيون في عالم حفظ الأسرار؛ وقد جاء في كلمات العرفاء:" **صدور الأحرار قبور الأسرار**"؛ لأن الحافظ للأسرار يكون حراً.

وقيل إن السر سرّان: سرٌ لا يمكن إظهاره للغير، وسرٌ يجوز إظهاره للأخلاء من الذين كانوا من الشخص بمنزلة نفسه في الإطلاع على أسراره، كما كان نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام حيث إنه سميَّ خليلاً لبلوغه مقام اللياقة للإطلاع على الأسرار الإلهيّة.

([1]) إن منظور، لسان العرب، ج7، ص441.

([2]) المصباح المنير، مادة حفظ، الصحاح، مادة حفظ، ومادة سرر.

([3]) الطريحي، مجمع البحرين،: مادة سرر ص266.

([4]) شبر، عبد الله، الأنوار اللامعة، ص78.

ويظهر من خلال التتبع لجملة كبيرة من الأحاديث الشريفة أن هناك حقائق كثيرة مستورة عن عموم الناس، لا تدركها أفهامهم ولا تبلغها عقولهم، لكن الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام يحملون تلك الأُمور كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[1].

فقد روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أبي جعفر الباقر عن أبيه عن جده قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟ قال: لا. قالا: الإنجيل؟ قال: لا. قالا: فهو القرآن؟ قال: لا. قال: فأقبل أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،: "**هو هذا، إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء**"[2].

ومن هنا لا بد للإنسان المؤمن أن يكون حافظاً للأسرار، وأن يكون كتوماً، فهو أولى بحفظه سره من غيره،؛ لأنك إذا أردت أن يحفظ سرك فلماذا لا تقوم بحفظه انت لأنك الأحق والأولى بحفظه من غيره، ولذا نجد البعض عندما يفشي أسراره إلى الآخرين ويطلب منهم أن يكتموها وهذا هو الأحمق بعينه، وأن أحمق منك الذي ائتمنك على سره، ويمكن القول أن الإنسان إذا قام بكشف سره فيتحول إلى إنسان أحمق، بينما إذا قام غيره بكشف أسراره فيعد ذلك المفشي له خائن، ومن هنا كان الفاقد لحفظ سره ضعيفاً، وكما قيل إن أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره، ولا ندري لماذا يقوم البعض بإيداع سره عند الآخرين خصوصاً

([1]) سورة يس/الآية:12.

([2]) الصدوق، معاني الأخبار، ص95.

النساء؛ لأن التجربة خير دليل وبرهان لمن يقوم بإيداع الإسرار إلى المرأة الخرساء فتنطق لجهة أن بعض النساء هي أقدم وكالة أنباء عالميّة كما جاء في المثل الأمريكي[1].

بينما يكون العكس في كتمان السر علامة لكمال العقل والتعقل والحكمة؛ لأن الحكيم يحتفظ بسره في صندوق قلبه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:" **صدر العاقل صندوق سره**"[2].

ومن هنا لا بد للإنسان المؤمن أيضاً أن يتخلق بأخلاق الله تعالى، والتي منها ستر عيوب الناس وحفظ أسرارهم، ومن كان كذلك كان شريفاً ومن كرام الناس.

يقول الفرزدق:

لا يكتم السر إلا من له شرف والسر عند كرام الناس مكتوم

يقول السيد محمد علي الحكيم:

وقل إلى حفظَةِ الكِتـــــــابِ تَحِيَّتي من خالِــصِ الخِطابِ

وقُلْ بـــــــــــسرِ للهدايّــة لُذتُ فَحُبُّهُمْ لَنا وِقايّـــــــــة

([1]) طبعا هذا ليس مطلقاً فما من عام إلا وقد خص وفي الجهة المقابلة نجد الكثير من النساء المؤمنات الصالحات الحافظات لأسرارها بيتها وزوجها وسائر خصوصياته الأسريّة.

([2]) نهج البلاغة، الحكمة رقم287.

35. حَمَلَةِ كِتابِ الله

الحملة جمع حامل، وحفظة جمع حافظ، وهو من يحمل الشيء، والكتاب بمعنى المكتوب وكونهم حاملين كتاب الله أي: القرآن الكريم، الذي فيه علوم الأولين والآخرين، فهم الحملة الواقعيون لأسرار القرآن العظيم وعلومه وخفايا أسراره، ويحفظونه من الزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل، والترتيب كما نزل على قلب جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بما في ذلك جميع المعاني سواء مرتبطة بظاهر القرآن أو باطنه، تأويله وتفسيره، ناسخه ومنسوخه، عامه وخاصه، مطلقه ومقيده إلى غير ذلك من الأمور، ويمكن القول أن المراد بكتاب الله ما هو أوسع من القرآن الكريم؛ لأن الأئمة عليهم السلام يحملون في صدورهم كلما جاءت به الرسل والشرائع التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ** ﴾[1].

إن حملة الكتاب الإلهي لهم القدرة على التصرف بعالم التكوين، وهم يتمتعون بقدرة عالية خاصة، تمكنهم من التصرف في نظام التكوين، وفي القرآن الكريم شواهد على صحة ذلك والتي أهمها ما كان مرتبطاً بآصف بن برخيا وصي نبي الله سليمان بن داوود عليه السلام الذي كان له حظ من بعض علم الكتاب، حيث جعل الله تعالى له قدرة خاصة جعلته متمكناً في القيام بمهمة الإتيان بعرش بلقيس من مملكة سبأ إلى محل إقامة النبي سليمان بأسرع من لمحة البصر وسرعة الضوء، وقد قال تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[2].

([1]) سورة الحديد/الآية:25.

([2]) سورة النمل/الآية:40.

فإذا كان آصف وصي سليمان بن داوود عليه السلام يملك بعض من علم الكتاب فكيف بمن هم حملة كتاب الله تعالى، وهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم إن القرآن الكريم وصف علماء التوراة بالحملة، فقال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ** ﴾، وسمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علماء القرآن بذلك أيضاً، فقال:" **أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل**"[1]، وقال:" **حملة القرآن أهل الجنة**"[2].

فمن أراد أن يكون شريفاً من أشراف أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيجب أن يكون حاملاً للقرآن الكريم في سلوكه وأخلاقه وعباداته ومعاملاته وسائر تروكه وأفعاله، لا أن يحمل القرآن ضد حملته كما حدث في واقعة صفين وخديعة رفع المصاحف حيث إنَّها اعتبرت أبشع مهزلة في التاريخ البشري، وأسوأ كارثة مُنّي بها المسلمون على امتداد التاريخ، هي مكيدة رفع المصاحف، وقد وصفها "**راوجوست ميلر**" بأنّها من أبشع المهازل وأسوأها في التاريخ البشري.

أو ربما يقوم البعض بحمل المصحف الشريف رياءً أو يضعه في مكان يتعرض فيه إلى الأتربة والغبار، كما يمكن ملاحظة ذلك في سيارات الأجرة في البلدان الإسلاميّة، حيث يضعه السائق بهدف البركة والحفظ وجلب الأرزاق وغيرها، ولعله لا يقرأ به أبداً، وإنما جعله كالزينة، مع أن بعض هذه الأمور تعد مشروعة ولا أشكال فيها من الناحيّة الفقهيّة، مع مراعاة وجوب المحافظة عليه من التعرض لأي امتهان، ووضعه بمكان نظيف ساكن مخصص له كعلبة أو صندوق ووضعه في مكان مرتفع، لأن امتهان المصحف من أكبر المحرمات، وتعظيم القرآن وصونه مُجمع عليه بين المسلمين، فيجب على كل مسلم حفظه عن النجاسات

([1]) المجلسي، بحار الأنوار، ج89، ص177.

([2]) بحار الأنوار، مصدر سابق.

والقاذورات ومواضع الامتهان، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[1]،.. وقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[2].

وقل إلى حَمَلَةِ الشَّريعة معنى كِتابِ الله والطليعة

إلى هنا انتهى الجزء الأول من شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، نحمد الله تعالى ونشكره على توفيقه ورعايته، والحمد لله أولاً وأخراً.

([1]) سورة الواقعة/الآية: 77 : 79.

([2]) سورة الحج/ الآية:32.

فهرس المحتويات

الإهداء 2

المقدمة 3

صحة مضامين الزيارة الجامعة العقائديّة 6

متن الزيارة الجامعة الكبيرة 9

1. يا اَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّة 15

2. وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ 18

3. مُخْتَلَفَ الْمَلائِكَة 21

4. وَمَهْبِطَ الْوَحْي 25

5. مَعْدِنَ الرَّحْمَة 28

6. وَخُزّانَ الْعِلْمِ 31

7. مُنْتَهَى الْحِلْم 35

8. أُصُولَ الْكَرَم 39

9. قادَةَ الأمَم 43

10. اَوْلِياءَالنِّعَمِ 46

11. عَناصِرَ الأبْرار 49

12. دَعائِمَ الأخْيارِ 51

13. ساسَةَ الْعِبادِ 54

14. اَرْكانَ الْبِلاد 58

15. اَبْوابَ الأيمان 60
16. أُمَناءَ الرَّحْمن 66
17. سُلالَةَ النَّبِيّينَ 70
18. صَفْوَةَ الْمُرْسَلينَ 74
19. عِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمينَ 76
20. رحمة الله وبركاته 79
21. اَئِمَّةِ الْهُدى 81
22. مَصابيحِ الدُّجى 86
23. اَعْلامِ التُّقى 89
24. ذَوِى النُّهى 91
25. أُولِى الْحِجى 93
26. كَهْفِ الْوَرى 96
27. وَرَثَةِ الأنْبِياءِ 102
28. الْمَثَلِ الأعْلى 107
29. الدَّعْوَةِ الْحُسْنى 110
30. حُجَجِ اللهِ عَلى اَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى 112
31. مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ 116
32. مَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ 119
33. مَعادِنِ حِكْمَةِ الله 122

34. حَفَظَةِ سِرِّ الله 124

35. حَمَلَةِ كِتابِ الله 127